رسائل وأحاديث

ألفريد فرج

دار العين للنشر

نبيل فرج

رسائل وأحاديث
الفريد فرج

رسائل وأحاديث الفريد فرج

نبيل فرج

الطبعة الأولى - ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م



دار العين للنشر

٩٧ كورنيش النيل، روض الفرج، القاهرة

تليفون: ٢٤٥٨٠٣٦٠، فاكس:٢٤٥٨٠٩٥٥

WWW.elainpublishing.com

الغلاف: أحمد اللباد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٠٣٣/٢٠٠٨

I.S.B.N : 978 - 977 - 6231 - 69 - 6

رسائل وأحاديث
الفريد فرج

تأليف: نبيل فرج

دار العين للنشر



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

فرج، ألفريد، ١٩٢٩- ٢٠٠٥.

رسائل وأحاديث ألفريد فرج / (جمع) نبيل فرج.

الإسكندرية : دار العين للنشر، ٢٠٠٩.

ص؛ سم.

تدمك: ٦ ٦٩ ٦٢٣١ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الأدب العربي- تاريخ ونقد.

أ- فرج، نبيل (جامع)

٨١٠,٩

رقم الإيداع / ٢١٠٣٣ / ٢٠٠٨

المحتويات

كلمة ...

يتألف هذا الكتاب من مجموعة من الرسائل الشخصية التي كتبها الفريد فرج بخط يده إليَّ وإلى بعض أفراد أسرته، ومن الأحاديث التي أجريتها معه في سنوات متفرقة من حياته الأدبية، ونشرت جميعها في الدوريات الصحفية في مصر والوطن العربي.

ولأن لكل رسالة أو لكل عدد من الرسائل، كما أن لكل حديث، مقدمته الخاصة التي كتبت له، رأيت ألا أضع مقدمة جديدة، وإن كان الكتاب يحتمل مثل هذه المقدمة التي يمكن أن تتناول الكثير من الآراء والأفكار والتأملات والتعاليم والمشاعر التي تحفل بها الرسائل والأحاديث، في مضمونها الكلي، خاصة بما تفصح عنه الرسائل من رؤية موضوعية ومن حس مرهف لألفريد فرج بالبنوة والإخوة، ومن تقدير بالغ للأبوة وللعلاقة الزوجية.

ومع هذا أرجو أن يجد القراء والنقاد في هذه المقدمات ما يغنيهم عنها، وأن تجد الأجيال التي لم تعاصر الفريد فرج في الرسائل والأحاديث

ما يعرفها بشخصيته، ويوقفها على القيم الفنية والإنسانية التي عبر عنها في أدبه وحياته.

والفريد فرج (1929-2005) يكتب المسرح منذ الخمسينيات تعبيراً عن الهموم الاجتماعية والأحلام الوطنية في العدل والحرية والتحديث، وكل ما يشكل منظومة النهضة العربية في أبعادها القومية وتطلعاتها الإنسانية.

تتجلى هذه المنظومة ليس فقط في الرموز والمضامين والدلالات الواقعية، التي تستلهم التراث الأدبي والتاريخ والواقع برؤية حضارية، وإنما تتجلي أيضاً في الأسلوب الفني الذي يفيد من الصيغ التقليدية والشعبية الأصيلة في أدب الشرق، بما تتميز به من حكمة وأخلاق، في إطار التقنيات الغربية الحديثة التي لا تتوقف عن التطور والثورة منذ اليونان إلى العصر الحديث.

أما اللغة فإنها تتنوع كذلك بحسب موضوعاتها، وتكتسب جمالياتها المؤثرة في ارتباطها بهذا الموضوع الذي تمتحن فيه المثاليات على محك الحياة المبتذلة المتردية، والثابت من القيم المتوازنة على العابر والمتغير منها، والاستثناء على القاعدة، والحقيقة المادية على الفرض والخيال.

إن الأحداث البعيدة التي نعايشها في مسرحيات الفريد فرج التي عرضت أو قرأت في أنحاء الوطن العربي والعالم، بكل ما تتضمنه من مفارقات وتناقضات وتجاوز للمنطق والمعقول، تكشف لنا هموم هذا الكاتب، كما تكشف ذاته وهويته، وتفصح عن إحساسه الموضوعي بالمسئولية التي تحملها شخصياته إزاء مشاكل المجتمع والحكم، بصفتهم شهود زماننا المعاصر .. لا الزمن الماضي الذي ينتمون إليه، حتى لو

إرتدوا ثياب الفراعنة، أو سكنوا خيام نجد وبادية الشام، أو مشوا في دروب بغداد وأسواق أشبيلية، أو تلقوا العلم في الأزهر أثناء الحملة الفرنسية.. وسواء كانوا من عامة الناس المغلوبين على أمرهم، أو كانوا من الشباب المثقف أصحاب البدوات، أو من الملوك والأمراء..

ذلك أن مسرح الفريد فرج ليس بعثاً للماضي، ولكنه حديث الحاضر من خلال هذا الماضي.

ورسائل الفريد وأحاديثه التي يجمعها هذا الكتاب تعكس كل هذه الأفكار التي عبر عنها في أدبه.

وعلى الرغم من المحن العديدة التي واجهها الفريد فرج في حياته، بسبب مخاوف السلطة من الثقافة والمثقفين، فإن جذوة الحب لشعبه ووطنه لم تنطفئ أو يضعف إتقادها، ولم يتوقف قلمه المثابر عن البحث والتفكير والتأمل في المكنونات والآفاق التي نطالعها في أدبه.

وهذا ما أرجو أن يستخلصه القراء من الرسائل التي كتبها الفريد بقلمه، ومن الأحاديث التي سجلتها بصوته.

كما أرجو أن يكون الكتاب إضافة أو مرجعية للنقد الأدبي، بقدر ما أرجو أن يكون ممتعاً للقراء، بما يلقيه من أضواء على حياة الفريد فرج وأعماله.

نبيل فرج

رسائل

- تلاث رسائل عن الحياة والمسرح.
- رسائل عن الأدب والصحافة.
- رسائل من السجن.
- عن الزواج وأغاني الصيادين.
- من الفريد فرج إلى أبيه.
- من المعتقل الفريد فرج إلى أبيه.
- من المعتقل الفريد فرج إلى زوجته.
- خمس رسائل في نصف قرن.

ثلاث رسائل عن الحياة والمسرح

البناء الأول في التكوين(*)

هذه ثلاثة خطابات تلقيتها سنة 1958 من أخي الفريد فرج، ضمن مجموعة أخرى من الخطابات، ظلت في درج مكتبي نحو ربع قرن.

وحتى يقف القراء على الظروف التي دعت إلى كتابة هذه الخطابات، لابد من الإشارة إلى أني كنت، في هذا الوقت، لا أزال أقيم في الإسكندرية، وكان الفريد قد انتقل إلى القاهرة منذ أوائل الخمسينيات، مدرساً للغة الإنجليزية في مدرسة النيل الثانوية للبنات بشبرا، قبل أن ينتقل بعد ذلك إلى الصحافة، ويعمل في مجلة «التحرير» محرراً أدبياً بها، ثم في جريدة «الجمهورية».

(*) مجلة «أدب ونقد» ، القاهرة، أكتوبر – نوفمبر 1984.

في هذه الفترة الباكرة من العمر، في سن السابعة أو الثامنة عشرة، كنت أحاول أن أشق طريقي في الحركة الثقافية التي ارتبطت بثورة 1952، في وجهها المتقدم، رافعة ألوية الأدب في سبيل الحياة.

كانت القاهرة قد بدأت تتألق بجيل جديد من الكتاب والنقاد، لم تكن هموم الإبداع عنده - على تنوع إنتاجه - تنفصل عن هموم الوطن، ولم تكن هموم الوطن بمنأى عن هموم العالم، بفضل إحساس هذا الجيل الجاد بالتاريخ، ومعايشته الحميمة للعصر.

ولكني وجدت نفسي، فجأة، في مملكة الظلال، معلقاً بين السماء والأرض، أواجه بمشكلتين كبيرتين، تضافرتا بشكل هز كياني، وملأ خواطري بالقلق والهواجس، لأنها جعلت تحقيق هذه المشاركة في حكم المستحيل.

المشكلة الأولى هي بعد الإسكندرية عن القاهرة، على الأقل في حسابات المسافات الزمنية للخمسينيات، وبالنسبة لطالب في أولى سنوات الدراسة الجامعية، يعي جيداً محنة أدباء الأقاليم المهمشين، وعزلتهم الباردة عن التيارات الفكرية المحدثة، في بلد تتركز فيه الأنشطة الثقافية في العاصمة وحدها، ولا يستطيع اختراقها إلا من أقام فيها، كأنها - أعني القاهرة - الأميرة في القصص الشعبية والأساطير القديمة، التي يشتعل قلبها بالغيرة القاتلة إن شاركها أحد في حبيبها، وأقام في مكان آخر، ولا تجد سبيلاً للانتقام منه غير أن تقدم له الرداء المسموم، الذي يتحول به الجسد إلى حفنة من رماد.

هذه هي المشكلة الأولى.

أما المشكلة الثانية التي تملكتني بنفس القوة، فهي المرض وملازمتي للفراش أكثر من سنة، تحت العلاج الطبي المتصل.

ولست أذكر هذه الأشياء القاتمة إلا لتعدد الإشارات إليها في هذه الخطابات.

وكما يحدث في الأسر المصرية المتماسكة، حين يكون الأخ الأكبر بمثابة أب للإخوة والأخوات الأصغر سناً، يهتم بشؤونهم الخاصة، ويقف على تطلعاتهم، ويوجههم بقدر ما يتسع جهده، كانت هذه الخطابات التي تشف بجلاء عن هذه المعاني الرقيقة.

على أن قيمة هذه الخطابات لا تتمثل بالطبع في هذا الجانب الشخصي الذي تشرق به النفس كلما استعادت ذكراه، وما إلى هذا قصدت من نشرها، وإنما تتمثل هذه القيمة في عرضها لعدد من المفاهيم الهامة للمدرسة الواقعية، التي استطاعت الاتجاهات التقليدية، في الثقافة والسياسة، أن تعصف بها وبكتابها، وهي في قمة نضوجها، حتى تخلي الساحة لنفسها في الأرض والجرداء، على الشاكلة التي حدثت في ظل حكم السادات، من سنة 1970 إلى 1981.

ولأن هذه المفاهيم التي تتضمنها الخطابات تعد، على الأقل في تقديري، البناء الأول في التكوين، والذي كانت تتطلع إليه الثقافة الوطنية من تغيير الأدب والمجتمع، لا أجد حرجاً اليوم من نشرها كما هي، لكل تطلع الأجيال الجديدة من الكُتاب والمثقفين والقراء على جزء من تاريخنا الثقافي المهدر، من خلال تجربة أحد الكتاب الملتزمين، الذين تميزوا – مع الكوكبة المعاصرة له – بالوعي البالغ بطبيعة القوى المتصارعة في الحياة والفن، على نحو يتطابق فيه فكره النظري مع أعماله الإبداعية.

وتقتضي الأمانة أن أذكر، هنا، أنني حذفت من هذه الخطابات بضعة أسطر تتصل بتحيات الفريد إلى الأسرة فرداً فرداً، وغير ذلك من الشئون الأسرية الخاصة، لأني رأيت أنها تخرج عن الهدف الأساسي المباشر من نشرها، وهو - كما أشرت - عرض أفكاره الأدبية والنقدية، وإيمانه العميق بالتجديد.

11 مارس 1958

عزيزي نبيل

لاشك أنك حاولت كل الطرق لتجعلني أكتب خطاباً، من أول الحث على الكتابة إلى حد كتابة خطاب لي، باسمي، وطلب توقيعي عليه!

ولكن أي شيء ذلك الذي يستطيع أن ينتزع يدي من جيبي، ويجعلها تقبض على القلم، لتجريه على الورق .. في الوقت الذي كرهت فيه الكتابة، وأمنيتي أن أكف عن هذا التدبيج الطويل الممل للمقالات قصارها وطوالها، ليتسنى لي من الوقت ما أستطيع فيه أن أفكر ساعة أو لحظة، أفكر .. فإن صناعتنا ينبغي أن تكون التفكير لا الكتابة، الكتابة ليست صنعتنا .. إنها مجرد عملية تدوين .. وفي الدول المتحضرة لا يطلبون إلى الأديب أن يكتب، بل يطلبون منه أن يفكر فحسب، أن يفكر أولاً .. ولذا فهم يغدقون عليه المال سواء كتب أو لم يكتب .. أجراً عن فكره، فإنهم ليعلمون أنه يفكر طيلة الوقت على أي حال، سواء أكتب أم لم يكتب.

لذلك أكره الكتابة أنا. وأتصور أنها تتجرد من خصال الهواية، والنشاط

العفوي الطبيعي، وتكتسي بقيود التكليف المستبد. وهي بذلك تفقد عنصر الحيوية والنشاط والتجدد، وتفقدني أنا نفس العناصر، ويتسلل إلى صدري من جراء ذلك ضيق بها، وقرف، ونفور..

لذلك أيضاً أنفر من كتابة الخطابات. ألا يكفيني كتابة؟!

ومع ذلك، فإنها كالمصير المحتوم، وكالوظيفة الفسيولوجية. ونحن نكتب كما نتنفس ونجوع ونتعب، لأن الرئتان وظيفتهما الفسيولوجية التنفس والمعدة وظيفتها الهضم فالجوع.. الخ. وعندما أهرب من الكتابة في الجمهورية للجمهورية أعود إلى البيت وكل شيء هناك يغريني بالكتابة، فأكتب من هوايتي عندئذ، وأكتب شيئاً أكثر جدية ووزنا.

المهم. هل سمعت أنتيجون؟ وكيف كان فهمك لها، وكيف كان شعورك لها؟

أما أخبارك .. أخبار اكتشافاتك الفكرية والفنية، فأرجو أن تتحفني بها دائما سواء استطعت أن أكتب لك أو لم أستطيع.

والسلام.

الفريد

15 يوليه 1958

عزيزي نبيل

وصل خطابك في موعده - طبعاً - ومن يومها وأنا أرد عليه، بطريقة أو بأخرى. في بعض الأحيان أرد عليه بالتفكير فيما ينبغي أن

أكتب، وفي الموعد الذي ينبغي أن أكتب فيه، وبسؤال إن كانت وصلت خطابات، وبانتظار القصة التي وعدت بإرسالها وفتح الصندوق وأنا طالع وأنا نازل .. الخ. وها أنا أخيراً أغلب نوازع الكسل في نفسي لأجلس أكتب لك الرد على خطابك، أو بالأحرى الخطاب الذي كنت نويت أن أكتبه لك قبل أن يصلني خطابك!

ومع ذلك فلا يمكن أن أغفل خطابك الذي وصلني منذ أسبوع. وقد لاحظت فيه بلاغة بليغة. وقد طابت لي بلاغتك، ولكن حذار من الحذلقة، أكتب كجوركي «الجملة البسيطة القصيرة» التي نوهت عنها أنت في خطابك، ولا تفتنك عن نفسك فصاحة الرافعي الموغلة.. أدرسها فحسب. فإننا لنشتهي أن نبلغ أسلوباً متحرراً عن القوالب البلاغية السالفة.. وألا يوقعنا ذلك في ابتداع قوالب لغوية جديدة. إننا إذا فعلنا فكأننا نعزل ملكاً عن عرشه لنضع محله ملكاً. في حين أننا لم نعزل ملكاً عن عرشه إلا لقلب نظام الحكم الملكي المتوارث.. فهمت؟ ينبغي للأسلوب العصري أن يكون حراً حرية واسعة، ومتنوعاً تنوعاً واسعاً. لذلك فأخطر ما يمكن أن ننحرف إليه: القوالب البلاغية، والحذلقة. فحذار.

وها أنت ذا ترى أننا مكلفون بالمشي على صراط مستقيم، على حبل مشدود.. عن يميننا تهلكة، وعن يسارنا تهلكة.. عن يميننا القيود الأسلوبية السالفة، وعن يسارنا السوقية والابتذال والسطحية وفساد الأسلوب. وعلينا أن ننقي هذا وذاك، وأن نحرص على نصاعة أسلوبنا وبساطته وإيجازه وصدقه وجماله في نفس الوقت.

مهمة شاقة!

ولكن خطابك وحده دليل على أنك بسبيل إنجاز هذه المهمة، والنجاح

فيها. ففي خطابك أسلوب جميل وبارع.. فما بالك بالقصة التي وعدت بإرسالها ولم ترسلها؟

ولقد علمت بنبأ مرضك، وكم أسفت له. ففضلاً عن أنه آلمني كما آلم بلا شك من أحبوك كلهم، فهو ينم أيضاً عن خطأ في تصورك وتصرفك. علمت أنك اعتدت الاستهانة بالطعام والنوم والمرح. وقد لاحظت أنا أيضاً ذلك خلال زياراتي العزيزة القصيرة للإسكندرية.. وهذا هو خطأ التصور والتصرف. فإننا نحن الأدباء، إذا كنا نكتب في سبيل الحياة، لا نصبح صادقين أمام أنفسنا وأمام من نكتب لهم إلا إذا كنا على إيمان حقيقي بالحياة.. نحبها، ونقبل على مرحها وعلى الصحة فهي مركبنا إليها.

لقد مضى عهد كان فيه الكُتاب ينظرون في تعقيد الحياة، والأحزان التي تغمرها فيصيبهم الفزع، وينزوون في وحدة قاسية يجترون آلامهم ويسبحون في تهاويمهم، ويعلنون الزهد فيها، ويعتصمون بعزلتهم.. أولئك كانوا رومانسيين، عاشوا منذ أكثر من قرن! أما اليوم فالعصر غير العصر. وإذا كنت أنت قد أمسكت بالقلم في النصف الثاني من القرن العشرين لتكتب، فلا مفر لك من أن تكون كاتباً واقعياً، والواقعي لا يعتصم بعزلة، وإنه ليدافع عن الحياة من حبه لها وإقباله عليها.. «لا من زهده طبعاً!» وإنه ليؤمن بالصحة والمرح أيضاً، ويؤمن بمخالطة الناس ومعاشرتهم.

أرأيت؟

ومع ذلك فالحمد لله أن حالتك طيبة كما وصفها لي الدكتور، وأنك تستطيع التغلب عليها في أقصر وقت. وقد أخبرني الدكتور أنك أنت طبيب نفسك وأنك تستطيع التغلب عليها في أقصر وقت.. طبعاً إذا واظبت على العلاج، وأقبلت على الراحة والطعام والإبر.. الخ.

ولا يحسن أن تعتبر الطعام والراحة واجباً مفروضاً ثقيلاً، جرب الاستمتاع بها، فإنها شهية ولذيذة معاً.. إنها وظائف حيوية، فهلا آمنت بالحياة، وأحببت وظائفها؟!

صاحبك بتاع يوسف إدريس هذا لا ينط من ترماي إلى أتوبيس قاصداً يوسف إدريس.. الأرجح أن هوايته النط. وهو لا يريد يوسف إدريس إلا منطاً، ينط عليه، ثم منه إلى الشهر، ثم نادي القصة.. ثم دار المعارف «كما تهيئ له أحلامه» وقصده لا أن يلقى يوسف، ولكن أن يلقى نفسه في النهاية عثيراً للمجد والشهرة والمال.. أحلام مراهق صغير، صغير السن والنفس. وهو لا يتصور طبعاً أن كل من نظر فيه وهو ينط من هنا وهناك لن يعدم أن يلمح في ملامحه وفي حركاته سمات القردة. والقردة لا يصبحون أدباء أبداً، وإلا لكانوا اليوم أعمدة الأدب العالمي.. أفليسوا هم أبرع كائنات الأرض في النط؟

ومع ذلك فليس أدعى للتسلي من حديث القردة، وقد ضحكت وطربت لقصتك عن صاحبك هذا، وتمثلت الكثيرين أمثاله الذين يصادفوننا هنا وهناك.. دائماً بشوشين مهللين مرحبين وكم هم تعساء من الداخل!

لا تؤخذاني لتأخري في كتابة هذا الخطاب وأرجو أن تصلني القصة قريباً، وأن تكتب لي على راحتك.

ربما قدمت للتصييف أسبوعين في النصف الثاني من أغسطس، وتكون أنت شديت حيلك شوية. هل ظهرت نتيجتك؟

الفريد

عزيزي نبيل

أما وقد كتبت لك، ولم يصلني ردك حتى الآن، فإني أكتب ثانية، غير عابئ بذلك، لأعطيك مثلاً وقدوة تقتدي بي فيها في صدد معاملتي.. فتكتب لي ثانية وثالثة حتى لو لم تتلق رداً مني. كويسة دي؟

قال اخناتون رضي الله عنه: الصدق والكذب، والسلام والجريمة، والصحة والرخاء من القلب. وهو قول حكيم لو تأملت معناه. فالناس تكذب من خبث قلوبها، وامتلائها بالضغينة أو الخوف، والناس تدعو للسلام أو للجريمة أيضاً من قلوبها.. والناس تصح جسداً وتنعم بالحياة الرخية لأنها تريد ذلك بقلوبها.

هل تذكر معركة «سقوط فرعون».. لا. بل الأدهى منها هي معركة عرض «سقوط فرعون». فقد حاول بعض المسئولين تقديم «دموع إبليس» عليها في تاريخ العرض نفاقاً للوزير، وتقرباً منه. وهددتهم حينذاك بتدبيج مقال كمقال العام الأسبق «أسطورة توفيق الحكيم لم تكن بحاجة إلى 4 دكاترة!» فخافوا وتراجعوا..

ولكني مع ذلك عشت في أزمة ضيق مرير، وقرف شامل من الناس وحثالات البشرية المتربعة في مناصب رسمية..

وعندئذ مرضت.

والله كده على طول. ارتفعت درجة حرارتي إلى 38 ونصف، وطلع لي - من تحت الأرض - خراج في ساقي وورم ملتهب، وكان جسمي كله يعاني حالة أشبه بالأنفلونزا.

وكان يوسف إدريس ساكناً في الشقة التي فوقي، فكان يمر علي كل يوم بالحقن والذي منه.

وأتاح لي المرض فرصة الاختلاء بنفسي، ومساءلتها: لماذا أتضايق إلى حد المرض؟ هل كنت تتصور يا أخينا «أخينا يعني أنا» أن الأوضاع العادية في مصر تتيح لغير الحثالات أن يتبوأوا مناصب فنية؟ ما العجيب الذي يصدم في هذا؟ إنك حيال أمر طبيعي جداً لا يغضب ولا يثير. فعلام إذن إرهاق نفسك وفكرك لاستنباط أفكار جديدة - في فنك - لتحل محل الأفكار البالية؟ إذا كان كفاحك موضوعياً حقاً، فإنك لتفترض بهذا الكفاح افتراضاً أوليا مؤداه أن حالة الفن زفت. أليس كذلك؟ فعلام تغضب حين ترى أنها زفت؟ ألست تعرف ذلك سلفاً..

وعندئذ رأيت بوضوح أن أهم شيء في الحياة مواصلة هذا الكفاح الفني. وهو كفاح لا يمكن مواصلته إلا بجسم صحيح، وبقلب يريد الصحة والجلد والمقاومة والصراع..

وبعد ساعات شفيت.. وبعد أيام خرجت من البيت.

أرأيت كيف كان اخناتون مصيباً ودقيقاً في التعبير.

وعلى ذلك فإني أرى أن قلبك يستطيع أن يعجل بشفائك في أسابيع قليلة، فتعود كالحصان أو أحسن، وتسمن قليلاً - لا حرج في ذلك، فانظر إلى جوركي الرقيق الحس كيف هو كالحصان أو أشد منه في حجمه وقوة ساعديه. هذا مع طول ما عانى من الجوع والتشرد!! أليس رجلاً حديدي القلب.

نهايته. أنا أعرف أنك تتماثل للشفاء وتداوم على الغذاء والدواء من خطاباتكم، وأرجو أن تواصل ذلك دائماً.

المهم. لم تصلني قصتك للآن.. لعلك تكون قد نسختها. ومنتظر منك خطاباً ولو قصيراً، وفيه نشرة طبية أيضاً.

وسلامي وأشواقي لك.

الفريد

رسائل عن الأدب والصحافة(*)

يطالع القراء على هذه الصفحات ثلاث رسائل أدبية أخرى، أرسلها إلي أخي الفريد فرج من القاهرة سنة 1958، في ظروف مرض ألم بي، تفصح عنه هذه الرسائل.

كنت في الثامنة عشرة، في بداية حياتي الأدبية، أدرس في كلية الآداب جامعة الإسكندرية، وأمارس كتابة القصة والنقد، وأتطلع بعقلي وقلبي إلى الحركة الثقافية في القاهرة، التي تتمثل عندي في تياراتها الثورية المتقدمة، التي يرتبط فيها الأدب بالحياة.

وإزاء مشكلة المرض الداهم، والإقامة بعيداً عن مجالات النشر في العاصمة، تلقيت هذه الخطابات التي تتعرض بشكل مباشر لهاتين المشكلتين، رداً على خطابات وصلته مني، لم أحتفظ بأصولها، ولكن أذكر أنها كانت أكثر عدداً، وأرجو ألا يكون الفريد قد ضيعها، لكي تكتمل بها رسائله.

(*) مجلة «أدب ونقد» ، القاهرة، إبريل - مايو 1987.

ولابد من الإشارة، مرة أخرى، إلى أن أهمية هذه الرسائل ليست في هذا الجانب الشخصي الحميم - الذي اقتلعت الأيام جذوره - وإنما فيما تضمنته من أفكار وملاحظات ورؤى عن الأدب والصحافة والحياة، كتبت بقلم كاتب ملتزم، يعبر فيه لأخيه عن بعض قسمات وملامح المدرسة الواقعية التي تألقت بمفاهيم الثورة الوطنية والتجديد الفني، دون أن يخطر بباله وقتها - ولا ببالي بالطبع - نشرها في يوم من الأيام.

لهذا بقيت هذه الرسائل في درج مكتبي أكثر من ربع قرن، قبل أن أفكر في نشرها. وتجمع في هذا الكتاب بعد نصف قرن من كتابتها.

ولعلي أضيف، إلى مبررات نشرها، ما تلقيه من ضوء على ثقافة وهموم وتطلعات الفريد فرج، في هذه المرحلة المبكرة من عمره، التي لم يكن يتجاوز فيها سن الثلاثين.

20 أكتوبر 1958

عزيزي نبيل

أود أن أبدأ بشكرك على المعاونة في ترجمة مقال الصيادين، وأن أعرب لك عن ارتياحي لنبرة خطابك الأخير التي تنم من روح عالية وهدوء نفس، وتطلع حواليك.

أما صديقك فهو رجل فكه حقاً، ويذكرني بعشرات الناس حولي وبغيرهم. ولعلك تعرف أن الدكتور إبراهيم ناجي كان هو الآخر طبيباً بين الشعراء وشاعراً بين الأطباء أو هكذا كان أصدقاؤه يشنعون

عليه. وإن كنت أنا شخصياً أرى أنه كان شاعراً بين الأطباء فحسب. فقد كانت مشاعره أرهف مما تصلح لطبيب.

ولعلي في التعبير الأخير أنساق أيضاً لما تواتر عنه بين من عاصروه وصادقوه. وإن شئت الدقة فإنه لم يكن ذا مشاعر مرهفة، ولكنه كان يعاني عصاباً أي اضطراباً عصبياً. وبعض الناس يعانون ولا يعبرون، وبعضهم يعانون معاناة خصيبة أي منتجة وكان هو من الفئة الثانية.

كان ناجي - كما سمعت فإني لم أدركه ولم أره - ذا يد مرتعشة، مشبوب الانفعال، مدمنا على السكر.. ولعل هذا كان سبب ذاك أو العكس، لا يهم، ولكنه كان شاعراً مجيداً وطبيباً فاشلاً.

وأمثاله لا يجرؤون على ممارسة الجراحة طبعا، فالجراحة تقتضي ثبات الوجدان واليدين.. ولم يكن ممن يحافظون على مواعيدهم وتكاليف عملهم، ففي نهاية حياته لجأ يعمل في عيادة «الدكتور محب» الأفاق المشهور الذي يقضي أيامه الآن في السجن.

أي والله. لقد كان الدكتور ناجي طبيباً موظفاً في عيادة هذا المنوم المغناطيسي وقارئ الكف وضارب الرمل. وأنت تعرف طبعاً أن طب النفس الذي كان يمارسه سعادة الدكتور ناجي يقتضي بالضرورة مؤهلات خاصة لم تكن له.. فضلاً عن أنه يقتضي بالضرورة صحة نفس الطبيب وإلا تعرض المريض لأشد النكبات. وهذا أمر مقرر في الطب النفسي، ولذلك فإن الطبيب في هذا الفرع إذا ما انتهى من دراسته قدم نفسه لأحد الأطباء لتحليله خلال ستة شهور أو سنتين أو أكثر حسب الأحوال، ولا تمنحه الدولة إذناً بممارسة طب النفس إلا إذا قدم مع مؤهلاته شهادة طبيب نفسي بأنه صحيح النفس. هذا يحدث في الخارج طبعا..

ومع ذلك ففي تقديري، وأنا لم أقرأ لناجي جميع شعره، أن الرجل قد أضاف للأدب قصائد من أروع ما كتب في العصر الحديث، وأنه مظلوم والله ظلماً بيناً. فهو يفضل على محمود طه ويتقدم عليه خطوتين، وبذلك يكون موضعه أمام محمود حسن إسماعيل وصالح جودت وغيرهم بمسافة لا تقل عن المسافة التي تفصل القاهرة عن الإسكندرية.

ولكني رغم كل ما تقدم لا أرى وجهاً للغرابة في أن يجيد كاتب كتابة الشعر والنثر - طبعاً صديقك لا يدخل في هذا القياس إلا إذا أجاد - ولكن ما يبدو غريباً بحق، وإن كانت الشواهد الكثيرة تضعه في موضع الشيء العادي، هو أن يجيد رجل الشعر والطب، أو الأدب والفلك، أو يكون من علماء التاريخ المعدودين وأدبائه المعدودين في نفس الوقت.. وعندك مئات الأمثلة على هذا، لا يحضرني الآن أكثرها، ولكني أضرب لك مثلاً بعمر الخيام والفارابي وجيته وميلتون وليوناردافنشي.. الخ. أما الذين كتبوا في مختلف فروع الأدب فعندك هنا في مصر الشرقاوي الشاعر الروائي صاحب القصة القصيرة الناصعة، وعندك صلاح جاهين الشاعر الرسام، ملحوظة نسيت الحكيم الروائي وكاتب المسرح.

وعندك في الغرب أراجون الشاعر الروائي، وأندريه جيد الروائي كاتب المسرحية.. وغيرهم وغيرهم.

صحيح أن العصر متجه للتخصص. ولكن كيف يتخصص إمرء تلح عليه نزعة الكتابة في عدة أشكال؟ ولعل بعض الكُتاب يجربون أنفسهم في كل مجال حتى يستقر بهم الأمر في النهاية على شكل أدبي يتخصصون فيه.

وقد جرب تولستوى نفسه في المسرح ثم كف عنه، وفعل مثل ذلك جوركي.

وأذكر عن توماس هاردي «وهو أديب روائي إنجليزي أوصيك به» اكتشف، أو بالأحرى أعلن أنه اكتشف، أنه ضيع وقته في الروايات وأنه كان ينبغي أن يتوفر للشعر منذ شبابه الأول.. وبهذا الإعلان إنقلب من روائي إلى شاعر واعتذر للقراء من غثاثة رواياته ووعدهم بشعر جيد. ولعل وجه الغرابة في ذلك أنه كان روائياً من الصف الأول، فأصبح شاعراً في الصف الأول كذلك.. ولكن الأعجب والأدعى للذهول أنه قام بهذا الانقلاب ليبدأ حياته الأدبية من جديد، شاعراً، وكان في سن السبعين!!

أما خبر علاج الأدباء فلا أظنه ينطبق عليك فالمريضين الجيار والقباني يعانيان من حالتي شلل لا علاج لها في مصر وهما لذلك سيرسلان للخارج، كفاك الله شر الأمراض المستعصية.

وأخيراً أبلغ سلامي لبابا وماما، والسلام.

الفريد

12 نوفمبر 1958

عزيزي نبيل

لا تستسلم لشهوة النشر هذه. أراك بعد أن اشتهت نشر قصة لك في المساء أو روز اليوسف، بدأت تقارن بين ما تكتبه أنت وما يكتبه الحجاوي أو أبصر إيه فهمي! وغدا تسلم نفسك لسب هذا وذاك ولعن الصحف والمجلات، واقتناص الزلات وإعلان العالم بأنك قد حوربت وتقاوم وتناضل هنا وهناك، وهذا ما يسميه أهل الذكر «الشعور بالاضطهاد».

ولاحظ أنك أقرب الناس للانزلاق في هذا الذي نسميه الشعور بالاضطهاد.. الظروف كلها تحوطك بها قد ينمي فيك هذا الشعور لو لم تنتبه له، وتفرغه قبل أن يملأك. وتبدأ هذا الظروف غير المواتية بأنك حبيس البيت، يضايقك هذا الوضع بلا شك، وأنك قبطي من أقلية اضطهدت مئات السنين وأصبحت تميل لإعلان اضطهادها والاطمئنان به (!) وأنك تكتب فلا ينشر لك.. الخ.

أما حكاية مقالك فقد قرأته قبل أن ترسل لي به. كان الشرقاوي في الخارج «في طشقند» ولم يعد إلا منذ أيام. واستلم خطاباته، وكان خطابك من بينها. وقد قرأ مقالك وأعجبه جداً وأعطاه لي لأقرأه وأعجبني جداً، ولكنه لم يكن مرتاحاً جداً لنشره، وأراد أن يعتمد على حكمي «المتحيز طبعا لك» في هذه المسألة، فسألني مباشرة، فلم أستغل ذلك أبداً، ووافقته على ما أضمره ولم يظهره من أن المقال صعب على صحيفة يومية، وعلى ركن أدب خبري. أنت لم تتمرس بالصحافة بعد، ولا أرجو لك أن تتمرس بها. فما نكتبه لمجلة كذا لا يصلح لمجلة كيت وما نكتبه في نفس الصحيفة لصفحة كذا لا يصلح لصفحة كيت.. الخ وأظن أن مقالك عن الدراما أصلح ما يكون مقدمة لكتاب عن فن الدراما، لا عموداً في ركن الأدب بالشعب.

ومسألة أخرى. لقد تساءلت طويلاً عما دعاك لكتابة هذا المقال. ولا تؤاخذني فإني لا أعفي نفسي من مثل هذا السؤال. لقد عودتنا الكتابة في الصحف أن نلاحق الأحداث. وأن تكون هذه الملاحقة هي المسوغ لما نكتب. إن ظهور كتاب في السوق حدث يدعو للكتابة عنه، وظهور فيلم أو مسرحية.. الخ. وهذا طبعاً يقتصر على الكتابة للصحف والمجلات. أما الكتابة للدرس والتحليل بلا مسوغ غير الإضافة للثقافة

والتنوير والنقاش فمحلها المجلة الأدبية لا غير أو الكتاب. لماذا لم تكتب عن شوقي مثلاً أو عن دراما شوقي، وقد جلست لتكتب هذا المقال أثناء الاحتفال بشوقي؟ إن القارئ العادي جداً شخص غير منقطع للثقافة، ولا تهمه كثيراً الثقافة من ناحيتها النظرية البحت. قارئ المجلة الأدبية ومن على شاكلته يهمه هذا النوع من الكتابات. أما قارئ الصحف اليومية فهو يتابع الأحداث السياسية والرياضية والثقافية ويطلب أول ما يطلب الخبر، ثم تفسير هذا الخبر أو التعليق عليه. وقد يكون الخبر والتعليق من نوع أعم مما قد يتبادر إلى ذهنك. فالقول مثلاً بأن المسرحية الفلانية التي تعرض حالياً أو التي لها مكانة خاصة في أدبنا غير جيدة أو جيدة.. من قبيل الخبر والتعليق معا..

أو لعلي مخطئ. فالعمل في الصحافة ليس عملي ولا اختصاصي وأنا أعول فيه على رأي أصحابه والمختصين فيه. وقد كانوا دائماً ينفرون من الكتابات النظرية العميقة، ويفضلون عليها الملاحقة الخبرية والتعليق. وقد وطنت نفسي على أن الكتابة النظرية البحت ليس مجالها على الأقل عندهم فصرت أحتفظ بها أفكاراً أو اسكتشات في درج مكتبي أنتظر الفرصة لإصدارها في كتاب.

وقد كتبت لك كل هذا حتى لا تلبث بصدرك ذرة استياء واحدة من عدم نشر مقالك، أو تظن لوهلة واحدة إنه مقال سيء أو غير جدير بالنشر، فقد بدأت بإعلان رأيي ورأي الشرقاوي فيه، وهو رأي جدير بأن يسرك.

أما خطابك الأول فسأرد عليه في فرصة قريبة.

وسلامي للجميع.

الفريد فرج

1 ديسمبر 1958

عزيزي نبيل

أكتب لك وأنا محل نزاع شديد بين شتى الانفعالات والعواطف المتضاربة. طبعا لقد باعدت بيننا الظروف بغير عدل، وبغير وجه حق بحيث أصبحنا نختلف حول الأفكار الأقل أهمية لا إختلاف الرأي، ولكن إختلافاً لا ينطوي إلا على تفاوت في تقدير الظروف. الحمد لله أولاً على أننا متفقان على الأفكار الأكثر أهمية، وهي معنى الأدب ورسالته وشكله وفحواه وموقف الإنسان وفضائله ورذائله وماضيه ومستقبله وأهمية اللغة والقيم الجمالية.. الخ الخ وهو قدر من الاتفاق يتوج علاقتنا الأخوية الوثيقة، ويصنع ذلك التفاهم والحب والثقة التي نتبادلها.

لا تستهن بوزن هذا الاتفاق، فهو إتفاق على الأهم.

ومع ذلك فإن ظروفاً عملية للحياة تفرض علينا تباعداً جائراً لا يتيح لنا التفاهم المباشر المتصل في غير أهم الأشياء.. فترانا لذلك نختلف، ولكنه اختلاف هين على أية حال، ومعلق بهذه الظروف الطارئة التي لن تدوم طويلاً.

هذه الظروف أولاً.. هي التي ترغمنا على قلة الاتصال سواء بالكتابة أو باللقاء، وهي التي تعوقنا عن الإحاطة كل بشئون الآخر.

يؤسفني أن أقول لك مثلاً أني لم أكن على بينة شافية بقلقك هذا الذي يحوطك به المرض.. لم أكن أدري أنك في حالة نفسية بحيث تراودك أفكار عن طول الحياة وقصرها الخ. ولكني أريد أن أختلف

معك حول هذا عن نية وسابق قصد. ألا تعلم أن عبدالوهاب المطرب بلغ من العمر سبعين سنة وهو من أكثر الناس شباباً وفتوة، وليت لنا صحته، وهو مصاب بمرضك منذ أكثر من 40 سنة؟! ومن لا أعرف من الناس أيضاً..

يخلق بك أن تؤمن بالعلم، وبالحياة نفسها، فالحياة ضمان الحياة، الإرادة والشعور بالصحة - فعلا، لا أقول لك هذا الكلام لألهيك به عما أنت فيه - الإرادة والشعور بالصحة خصلتان مرتبطان متكاملتان.

ولكن ينبغي لك أولاً أن تقرأ الكتاب الذي أنا بسبيل ترجمته، وهو قصة سوفيتية عن ضابط أصيب في الحرب لتعرف ماذا في وسع الإنسان، وماذا ينبغي للإنسان. سيصدر الشهر القادم على فكرة.

ومع ذلك فإني أقدر شعورك الأسيان هذا وأحترمه، ولا ألومك عليه كل اللوم، ولكني أدعوك أن تتخلص منه وأن تقاومه وأن تشرق وتذوق طعم الإقبال والتفاؤل - رغم كل شيء. فإنك لا تعلم بلاوي الناس، ولا تعلم كم يقاوم الناس هذه البلاوي ويضحكون ويمرحون ويحيون.

ما حاجتك لكل هذا الكلام؟! ما حاجتك وأنت خليق بأن تكون عارفاً له معترفاً به.. أنت الأديب الفنان الواقعي المؤمن بمستقبل الأيام.

أتظن أنك مستطيع إعادة القيام بدور الفنانين الرومانتيكيين الذين عاشوا يتعذبون ويبكون ويجأرون بالشكوى وماتوا صغاراً منذ مائة سنة؟! هيهات. إننا نعيش في عصر لا يتفق معه أن نكون صورة منهم أو قريبة الشبه، أو بعيدة الشبه حتى.. منهم.

إن عمالاً وشيالين مصابون بمرضك ويعملون ويعيشون ويتسلقون السقالات ويضحكون آخر النهار.

تخلق بخلق العمال.. إنهم مثال للنضال والصلابة وحب الحياة. فتش عن محنتهم الشديدة بالفقر والبطالة والحاجة.. ثم أنظر كيف يعيشون!

وسأعود للموضوع نفسه فيما بعد.

المهم لا تستسلم للقنوط، ولحدة الأعصاب واللهفة.. لماذا تغضب من الشرقاوي؟ أولى بك أن تغضب من الراعي أو المدعو فاروق زفت.. مش كده؟

وتأكد أن الشرقاوي ليس من الطراز الذي يفعل غير ما يكتب. أو يهمل في دفع غيره للأمام. فأنا مدين له كما تعرف وقد لا تعرف أن «المدينون» له كثيرون لا يمكن حضرهم، ولكني سأذكر لك على سبيل المثال فقط، لا الحصر أسماء: أحمد بهاء الدين وفتحي غانم، وأسماء رشدي صالح وحسن فؤاد وحسن عثمان وأحمد حمروش ومصطفى بهجت بدوي وسعد التائه ويوسف إدريس.. والشرقاوي بعد لايزال في منتصف الحياة أو أولها.

صحيح ان معظم هؤلاء أو كلهم أكفاء.. زي بعضه، كم من الأكفاء لا تزال الظروف تقصيهم عن مجالات الكتابة وتحرمنا خبراتهم وتجاربهم؟

المهم لا تغضب منه بغير حق. لقد شرحت لك الموضوع بإسهاب، وأنت لا تستطيع أن ترغم بقالاً على الاتجار في الأدوية. وأركان الأدب هذه بقالات، لا محل فيها لعرض الدواء والاتجار فيه.. باختصار.. ولي عودة.

ارسل لي قصة مثلاً، وأنا أحاول نشرها في روزا. أو كمل مقالاتك هذه في سلسلة وأنا كفيل بنشرها لك في كتاب.. ولو أن الرأي عندي أن تهتم بالأدب نفسه أولاً، وأن تواصل تجربتك فيه، فوالله لقد كتبت عن الأدب أكثر من ناس كثيرين، ولكني لا آأسف على شيء قدر أسفي على أني لم أستطع استغلال وقتي في كتابة الأدب نفسه بالقدر الذي يرضيني.

وسأكتب لك خطاباً منفصلاً عن أسلوب وفحوى هذه المقالات الثلاثة التي قرأتها لك قريباً.

وأرجو منك أن تسرع بالكتابة لي وتكثر من الخطابات ولا تعتب على أني لا أكتب لك بانتظام.. فإنني واقع تحت وطأة جبل من الشغل يرهقني ويزهدني في الأدب والأدباء.

وأخيراً سلامي وأعمق تمنياتي لك وللجميع.

سلم على بابا وماما.

الفريد

رسائل من السجن(*)

هذه ثلاثة خطابات مضى عليها في درج مكتبي أكثر من أربعين سنة، تلقيتها في أوائل الستينيات من أخي الفريد فرج، أثناء اعتقاله الذي امتد من 30 مارس 1959 إلى 7 فبراير 1963، قضاها في المنافي البعيدة، في معتقلات الفيوم وأبو زعبل والواحات الخارجة، دون اتهام أو تحقيق أو محاكمة.

ولأن كتابة الخطابات كانت في هذه المرحلة من الاعتقال ممنوعة، فقد وصلتني مهربة مع شخص مجهول، لم أعد أذكر هيئته، طرق باب الدار في أول المساء أو في آخر الليل طرقات خفيفة لا تكاد تسمع، وقدم لي في كل مرة ظرفاً مغلقاً، كتب عليه اسمي بالقلم الكوبيا، من غير أن يفصح عن شخصيته. كل ما قاله لي بصوت خافت لا يسمع: «الجواب ده من أخوك».

(*) جريدة «الأهالي»، 27 أغسطس 2003.

ولم أشأ من جانبي أن أعرف اسمه أو شخصيته، أو أن أطيل الوقوف معه، حتى لا أزيد من اضطرابه الظاهر، مادامت الخطابات التي يسلمني إياها خطابات الفريد بالفعل، بخطه الواضح، وأسلوبه المحكم.

وأغلب الظن أن هذا الشخص الذي لم يفصح عن اسمه أو هويته كان من حراس أو جنود المعتقل، غامر بحمل هذه الخطابات في إجازاته إما من قبيل المروءة والشهامة، أو مقابل مبلغ من المال، أنفق جزءاً منه في المواصلات حتى وصل إلي في الإسكندرية.

وقد يكون أحد أقرباء هذا الشخص أو أحد أصدقائه أو جيرانه، كلف بهذه المهمة نيابة عنه، زيادة في الحذر والحيطة، في أيام لم يكن أحد يأمن فيها على نفسه.

ويلفت النظر في هذه الخطابات التي كانت تثير في نفسي القلق والمخاوف أكثر مما تمنحها من الطمأنينة، ما تفيض به من مشاعر أخوية حميمة، وما تعبر عنه من محبة غامرة لكل أفراد الأسرة، خاصة نحو الأب الذي كان الفريد يكن له حباً عظيماً، وكان أبي يبادله حباً بحب أكبر، ربما لأن الفريد حقق في شبابه من المجد الأدبي ما لم يستطع هذا الأب الذي مارس الكتابة والترجمة أن يحققه.

ومن المعروف أيضاً أن هذه المشاعر تتوهج عادة في مثل هذه الظروف القاسية، التي يمكن للعالم الخارجي أن ينفض فيها من حول المعتقل، ولا تبكي عليه أرض أو سماء، وتبقى أسرته على حالها، تتحمل المكاره والمخاطر مهما كانت، دون أن تشتبه أمامها السبل، ولا تهدأ روحها حتى يعود ابنها الغائب.

أما أنا بين أفراد هذه الأسرة المنكوبة، التي سرعان ما انفرط عقدها، فلم يكن أحد يدرك ما كنت فيه من إحساس بالغربة والتوتر، وأنا أتطلع من مكاني إلى سرب الأدباء المثقفين الذين كانوا يضعون في السنوات الأولى للثورة أسس الإبداع والنقد، وهم يتشتتون في فضاء هذه المنافي البعيدة.

ولم يكن هناك ما أفئ إليه في هذا الخطب، وصورة الوطن تبهت في نفسي، غير أوراقي وكتبي.

وتؤلف هذه الخطابات التي أرسلها الفريد فرج إلى أسرته خلال سنوات الاعتقال وما قبلها، كتاباً كنت أتمنى أن أقوم بإعداده من وقت طويل.

وقليل من يعرف اليوم أن أشهر مسرحيات الفريد فرج، وهي «حلاق بغداد»، كتبت داخل المعتقل على ورق السجائر الشفاف «البفرة»، في ظل ظروف بالغة القسوة من القيد والمراقبة والخواء، ولكنها كانت، في نفس الوقت، حافزه لاسترداد حريته المفقودة وحقوقه الغائبة، بهذا العمل الكوميدي الجميل، الذي استقاه من تراثنا الأدبي، ودافع به، في بنائه ومضمونه، عن مطالب الشعب الجوهرية: العدالة والحرية للمجتمع، أو منديل الأمان لكل أفراد الأمة، بمثل ما دافع عن إنصاف الأفراد المظلومين المغلوبين على أمرهم، وحمايتهم من بطش السلطة، وكانت قضية الديمقراطية ، خاصة بعد أزمة مارس 1954، القضية المطروحة التي تشغل كل المجتمع المصري، وفي مقدمته المجتمع الثقافي، وتمثل أعظم أحلام الأمة، وهي تتطلع لعالم جديد مخالف لعالم ما قبل 1952.

وبعد أن انتهى الفريد فرج من كتابة المسرحية، وجد في المعتقل من

يتطوع بنسخها في كراسات صغيرة، خوفاً من ضياع أصولها في حملات التفتيش التي تداهم عنابر المعتقلين.

وكما وجد الفريد من يساعده على كتابة عدة نسخ من المسرحية، وجد أيضاً من يحملها داخل ثيابه إلى خارج المعتقل كما حملت رسائله.

وعندما تحسنت ظروف المعتقل عرضت المسرحية في فناء معتقل الواحات الخارجة، وشارك في تمثيلها من المعتقلين: حسن فؤاد، محمود أمين العالم، إبراهيم عامر، على الشريف، فخري مكاري، وأخرجها صلاح حافظ.

والخطابات التالية تعبر عن هذه المحنة التي كادت تودي بالفريد، لو لا صلابة عوده، وقوة ملكاته، وسلامة معتقداته. كما عبرت الخطابات عن بعض شمائله، وتومئ إلى الهموم التي شعر بها كاتب شاب في سن الثلاثين وما بعدها، حرم فجأة من كل شيء بينما كانت أسرته تعده زهرتها، وكانت الحياة الأدبية تعتبره بعد تقديم «سقوط فرعون» في نوفمبر 1957، أحد وعود المسرح المصري في بداية نهضته الحديثة.

ومع هذا فهناك من يرجح أن «سقوط فرعون»كانت برهان هذا الاعتقال أو أحد براهينه، بسبب ما فيها من نقد مباشر لحكم الفراعنة، اعتبرت الثورة أنها المقصودة به.

وكان هذا النقد يكشف الأخطاء السياسية لحكم الفراعنة الذي أطاح بمجد الوطن، نتيجة التناقض المحتوم بين السلطة وبين المبادئ الإنسانية السامية التي ينادي بها اخناتون، فرعون مصر، وترى المسرحية إنه لا سبيل لحل هذا التناقض، وتجنب أخطاء الحكم، إلا إذا تولى الشعب هذا الحكم.

ولأن المهتمين بأدب الفريد فرج وتجربته يمكن أن يقرأوا في هذه الخطابات الكثير من المعاني والدلالات الشخصية والعامة، فقد احتفظت بها كل هذه السنوات، لكي أقدمها للقراء كما كتبت، لم أحذف منها حرفاً واحد.

الخطاب الأول

عزيزي نبيل

أكتب إليك من هذا المكان البعيد، على هذه الورقة القصيرة والموقف كله مؤلم للغاية، يؤلمني أن أقصي عنكم بهذه القسوة، وأن أعبر لكم منه في هذه الورقة المهمة عن حبي وأماني ولا وسيلة لي غيرها. أتمنى أن يكون الوالد في صحة جيدة، وأن يحتمل محنتي بجلد وليتني كنت أستطيع الكتابة له من زمن، وأرجو إبلاغه إنني هنا أحتمل البعد بصبر متمسكاً بالشجاعة والخلق، وأن صحتي جيدة ولا ينقصني غير رؤياه والاطمئنان عليه، كما أرجو إبلاغ أحر السلام إلى خالتي عايدة والإخوة جميعاً.

يؤلمني يا أخي العزيز أن أتمنى منك وأنا هنا في المنفى أن تهتم بزوجتي وتبذل كل ما في وسعك لتخفيف آلامها. أنا أعرف أنها شجاعة وأن لها كبرياء، فلعلها تعف عن طلب أي مساعدة منك، فأرجو الإلحاح عليها في ذلك، واستطلاع حالتها المالية باهتمام، وتخفيف محنتها قدر الطاقة، والسؤال عنها باستمرار وزيارتها فليس لي من أوصيه بذلك غيرك. أنا طلبت منها بعض الأدوية المضادة للحساسية فأرجو تدبيرها لها، كما

أرجو أن تسلم حامله مبلغ خمسة جنيهات أحتاجها هنا نقداً. ولعلك تشعر أن هذه المحنة قد هانت. وأنا أتوقع الإفراج خلال شهور قليلة، فأرجو أن تطمئن العائلة وتبلغهم سلامي وحبي وأشواقي الحارة. ولك مني يا أخي العزيز أخلص التمنيات والامتنان والتقدير والسلام.

الفريد فرج

1961/2/29

الخطاب الثاني

عزيزي نبيل

بعد السلام، أشكرك على خطابك الرقيق الذي أرسلته في مارس الماضي وقد كنت في غاية الشوق لمزيد من خطاباتك وأخبار الأسرة. ومع ذلك فإنني منذ ذلك التاريخ (مارس الماضي) لم أتلق خطاباً واحداً منكم. ولا أخفي عليك مدى تأثري وأسفي لذلك. إن الكلمات وحدها لا تكفي للتعبير عن حزني وقلقي الشديد لذلك. فإنني لا أحتاج شيئاً قدر احتياجي لخطاباتكم، فأرجو أن تبلغ الوالد العزيز والإخوة بذلك، وأن تبلغني أنت شخصياً برجوع البريد بحالة الوالد الصحية، وحالة خالتي عايدة والإخوة كلهم وسائر أخبارهم.

أرجو أن ترسل لي مبلغ خمسة جنيهات بحوالة على عنوان: فلان الفلاني بمعتقل العزب بالفيوم في خطاب مسجل. كما أرجو إرسال الخطاب المرفق لزوجتي.

ولك مني يا أخي العزيز وللوالد والإخوة كلهم أعطر سلام وأطيب تمنيات.

الفريد فرج

1962/5/30

الخطاب الثالث

عزيزي نبيل

تحياتي وأشواقي، وبعد، لا أعرف متى يصلك هذا الخطاب ولكن عشمي أن يصلك في أقرب وقت حتى يذكرك بما وعدتني به منذ مدة بخطابات كثيرة، وها أنا منذ مدة لم أتسلم منك خطاباً واحداً يطمئنني على أخبارك وصحة الوالد والإخوة، لقد كنت منذ أسابيع أصبت بنزلة برد.. كتلك التي تصيبني دائماً في التقلبات الجوية وخصوصاً في الصيف، وكان عندي بعض الأدوية استهلكتها وأنا بحاجة إلى بعض أدوية البرد استحراس مثل: حقن فيتامين، وحقن بنسلين وستربتو مايسين.

يهمني أن أخطرك أنه لم تصلني منك حوالة في شهر أغسطس خلافاً لما جاء في خطابك المرسل في أوائل يوليو عسى ألا تكون ضاعت. كما يهمني أن تبلغني إذا كانت الحوالة القديمة وصلتك أم لا.. كما أرجو ألا تكون خطابتك لي أقل من خطاباتي لك.. فأنت تراسلني وحدي بينما أنا أراسلكم جميعاً رغم ظروفي الضيقة.

أرجو إبلاغ عاطر سلامي للوالد وخالتي عايدة والإخوة جميعاً، ولك مني يا أخي العزيز ما لا تستطيع أي كلمات أن تعبر عنه من حب وود وشكر والسلام.

الفريد فرج

1962/8/24

عن الزواج وأغاني الصيادين(*)

وهذه ثلاثة خطابات أخرى لالفريد فرج لم يسبق نشرها، كتبها منذ نصف قرن إلى أبيه مرقص فرج. يعبر في خطابه الأول منها عن شكره للأب على ترجمته مقالاً عنوانه «أغاني الشاطئ» نشره الفريد فرج في جريدة الجمهورية في 5 إبريل 1956 عن أغاني الصيادين في أبو قير. وبعد نشره أراد ترجمته إلى اللغة الإنجليزية.

ولأن وقته لم يكن يسمح بهذه الترجمة، طلب الفريد من أبيه - الذي كان يتقن الإنجليزية والفرنسية إتقانه العربية - أن يترجم عنه هذا المقال، فاستجاب على الفور.

وقد أثارت هذه الترجمة إعجاب الفريد، كما نطالع في بداية خطابه.

ويقدم في خطابه الثاني الفتاة التي اختارها من الوسط الفني للاقتران بها، ليس إعجاباً بجمالها، وإنما كما ذكر في خطاب آخر للارتباط الفكري الذي جمع بينهما.

(*) مجلة «الأهرام العربي»، 30 ديسمبر 2006.

ويتحدث في خطابه الثالث عن استعداده لعقد القران، بعد أن حدد موعده، داعياً الأسرة المقيمة في الإسكندرية إلى حضور حفل الزفاف في القاهرة.

والخطابات الثلاثة، ككل خطابات ألفريد فرج، قطع أدبية تفيض بالعاطفة والمشاعر الطيبة نحو هذا الأب، ونحو أفراد الأسرة. كما تفصح في بعض سطورها عن ظروف ألفريد الصعبة، وعن مدى العناء الذي كان يعانيه في حياته الخاصة قبل الزواج، في هذه المرحلة المبكرة التي سبقت اعتقاله بلا اتهام وبلا محاكمة، من 1959 إلى 1963، والمخالفة لكل الشرائع والنظم الديمقراطية في العالم.

ومن جهة أخرى، تكشف هذه الخطابات في لمحات خاطفة عن وعي ألفريد فرج بالظروف التي يمر بها العالم في هذا التاريخ، والتي لم تسلم منها مصر، ولم يسلم منها ألفريد فرج نفسه مع مئات الكتاب والمثقفين اليساريين من أبناء جيله، حين اضطربت علاقة مصر ببعض الدول العربية والأوروبية في السنوات الأخيرة من الخمسينيات التي احتشدت بالتحديات الداخلية والخارجية، وقدم فيها عبدالناصر الالتزام الوطني، وتأكيد الذات القومية، على كل ما عداه.

ومن يقرأ بإمعان هذه الخطابات وغيرها يستطيع أن يستخلص منها بسهولة الكثير من الأفكار والقناعات عن المجتمع والحياة والعصر، التي آمن بها ألفريد فرج، وعبر عنها في إنتاجه، خصوصاً في أعماله المسرحية.

وهذه هي الخطابات بترتيبها التاريخي.

5 مايو 1956

والدي العزيز

لا أستطيع أن أعرب لك عن شكري وسروري بالترجمة التي استمتعت بقراءتها - حقا - كأنها شيء جديد لذيذ أقرأه. ذلك أن براعة صياغتها ودقة نقلها عن عربيتي غير الفصيحة لا تدانيهما قدرتي أبداً.

وقد سررت وامتلأت امتناناً في الوقت نفسه لأنني شغلت في الشهر الماضي، ولا أزال مشغولاً وسأظل كذلك أسبوعاً آخر أو اثنين.. بحيث لم يكن في وسعي أبداً أن أقوم بهذه الترجمة، التي تستغرق مني وقتاً وجهداً طويلاً، كما قد لا يخفي عليك.

ومع ذلك فلاتزال شكواي قائمة.. فإنكم واحشني خالص، ومقلين جداً في إرسال الخطابات. والفونس مثلاً لا يصلني منه شيء البتة. في حين تشوقني جداً متابعة أخباركم وتملأني غبطة وراحة. فأرجو ألا تبخلوا علي ببضعة سطور بين الحين والحين.

وأرجو إبلاغ سلامي لخالتي والأولاد والشبان - وهم شبان جسماً وأحلام العصافير ككل شبان اليومين دول-.. معلهش لهم عصر يهديهم. والعصر المشحون بالقلاقل والمتاعب هذا خير من يهديهم وينضجهم.

كما لا تنسوا إبلاغ أليس ونخلة ونجليهما بسلامي وتمنياتي.

الفريد

10 مايو 1957

والدي العزيز

بعد التحية، أرجو الله أن تكونوا في أتم صحة وعافية وألا تكون الشائعات حول القضية أصابتكم بأي كدر. وإحنا الحمد لله عايشين كويس ومبسوطين. والضيق الصغير الذي نعانيه مالياً وفي الأعصاب يعانيه العالم كله، الذي يعيش في حرب باردة قائمة منذ انتهاء الحرب الساخنة وسلسلة مناورات للحصار الاقتصادي، والمضاربة العالمية بالسلع... الخ. والحمد لله إننا في مصر بلد الخيرات - ففي الخارج، ولا أقول أوروبا، سأقول سوريا ولبنان، شقة كالتي تسكنونها إيجارها على الأقل 25 جنيهاً شهرياً والله. ورغيف العيش ثمنه نصف فرنك، وليس هناك لا فول ولا عدس، واللحم نار... الخ.

ما علينا. ها قد نويت التأهل بلغة أولاد البلد، وأتلم على نفسي. فقد أصبحت مشغولاً جداً بحيث لم يعد لدي الوقت الكافي، ولا الفلوس الكافية للتفرغ للعزوبية. والعزوبية تحتاج تفرغاً كاملاً من الصباح للمساء، تفرغاً لاختيار الطعام، ومحاسبة المكوجي والجري وراء قميص ضاع، ورخصة راديو انتهى ميعادها وأنا ناسي، وشعور بالوحشة وغيره. وقد وجدت ابنة حلال حسنة المنظر والمظهر على خلق وثقافة. فهي خريجة كلية الفنون الجميلة، وتشتغل في شركة شل نهاراً وترسم في الصحف بعد الظهر، فإيرادها حسن أيضاً مما سيعيننا على الاحتفاظ بالرمق وببعض وسائل الراحة.

أبوها اسمه إبراهيم العجيزي وهو رجل في الخمسينيات من عمره تخين جداً ولكنه طيب جداً ومسالم للغاية، وهادئ الطبع.

وأمها خريجة مدرسة الأمريكان بأسيوط، يعني تفهم وذكية. ولها أخ

في الفنون الجميلة قسم العمارة، وأخت تتخرج هذا العام بإذن الله من معهد الخدمة الاجتماعية.

أبوها كان باشكاتباً للبنك الإيطالي في مغاغة واشتغل تاجراً سنة 1939، وفي 1949 كان قد أثري جداً، وأصبح من الأعيان، ثم أفلس أو كاد وترك التجارة مكتفياً بأملاك بسيطة جداً في بلده.

وهم مقيمون بالجيزة.

ويعد مزيد من التردد والتسويف حزمت أمري وطلبت عقد الخطبة يوم الخميس القادم مساء. ولا يخفاك أن محسوبك مفلس وغير مستطيع عمل إجراءات تقليدية. والبلد كلها مفلسة، وحيث إننا ناس تقدميين لا رجعيين، فسنلبس الدبل وأقدم لها هدية رمزية بعشرة جنيهات كده في حفل عائلي لا يضم إلا أبويها وإخوتها وأنتم.. ودمتم.

كما أنني، في مقابل ذلك لن أثقل عليهم طبعاً في طلب المفتاح – فهم ماحيلتهمش مفتاح، والبنت إيرادها كبير صحيح، لكنها مفلسة لأنها غاوية سندات، وأهو كله ينفع وقت اللزوم. المهم أني دبرت أمري وسأشتري عفش البيت كله برخص التراب إذ ستعاونني دار الجمهورية في شراء العفش بتخفيض يبلغ 25% على أقساط شهرية قدرها 10 جنيهات فقط، وأهو ماهيتي على ماهيتها تسد العشرة جنيه ونص. فالمسألة من هذه الناحية محلولة، والناس الطيبين في الجمهورية يعاونوننا.

المهم أن أباها يسره جداً لقياك في مناسبة سعيدة كهذه. وكل من يمكنكم اصطحابه معكم: خالتي والدكتور ونوره. وأنا طبعا متكفل بالمصاريف، ويمكنكم الحضور يوم الأربعاء أو الخميس، والسفر يوم

الجمعة. والدكتور يمكنه قضاء هذا الويك إند اللطيف في القاهرة، والجو هنا حسن للغاية.

وسأنتظر منكم برقية بموعد حضوركم حتى ألقاكم على المحطة، وإذا كان من الصعب حضور خالتي ونوره معاً، فيمكن الاكتفاء بواحدة منهما لتمثل الحزب النسائي، وإلى اللقاء، وإن شاء الله نخدمكم دائماً في الأفراح والليالي الملاح. وسلامي وقبلاتي للجميع فرداً فرداً ودمتم لنا.

الفريد

7 سبتمبر 1957

والدي العزيز

أنا آسف جداً لتأخري هكذا في الرد على خطابكم وتليفونكم وأرجو أن أبسط عذري فيما بعد فتقبلونه.

المهم: أفتكر حكاية نبيل انتهت على خير. فقد بادرت أنا من يومها بالسؤال عن الموضوع فقيل لي أنه ينبغي أن يقدم أوراقه إلى لجنة التنسيق ويذكر 7 طلبات حسب ترتيب أهميتها.. أي يذكر 7 كليات يريد أن يلتحق بها في أي من الجامعات الثلاثة. ونبيل طبعاً يعرف هذا الإجراء.. ثم قرأت في الصحف أن الناجحين في التوجيهية شعبة الآداب سيقبلون في الجامعة ابتداء من مجموع 50% وعلى ذلك أرجو أن تكون الحكاية انتهت نهاية حسنة.

أرجو أن تكونوا جميعاً بصحة جيدة.

لم أستطع معرفة شيء في مسألة الفونس، لأن عبدالمجيد في إجازة، والحركة لم تعلن.. الخ.

كما لم أستطع الاتصال بالمحامي إلى الآن نظراً لانهماكي الشديد في مليون نوع من أنواع العمل. فإني لأستيقظ في الصباح الباكر وأهرول إلى مسرح الأزبكية لأحضر بروفات مسرحية «سقوط فرعون» التي أفرجوا عنها حديثاً ويعدونها للافتتاح. ويستغرقني هذا الأمر إلى حد بالغ. فإذا كانت الساعة الثانية بعد الظهر طرت إلى الجمهورية لأشرف بشق النفس على عدة صفحات بها، وأراجعها، ثم أوقعها باسمي. وفي الثالثة أجري إلى النجارين والمنجدين والديكوريست للنظر في أمر شقة الزواج.. وذلك مع ثريا. فإذا كانت السادسة طرت إلى مجلس الأمة في الأيام التي تنعقد بها الجلسات، أو إلى الجمهورية في سائر الأيام.. وذلك لأني اخترت للإشراف على عمل الجريدة في داخل المجلس. وفي الثانية عشرة أفرغ من كل هذا لأبحث عن مكان أنطرح فيه في الهواء الطلق أشرب القهوة أو البيرة أو المثلجات ساعة.. ثم انصرف إلى البيت لأنام، وأصحو أعاود الكرة من جديد.

كل هذا ولا يخفاك أن القاهرة تبلغ درجة حرارتها 35 في الظل، و 50 في الشمس. والمواصلات زحمة، والانتقال شقاء، والجلوس فرهدة وعرق وسخام.

وقد قررت مع ثريا أن نحدد أحد أيام الأسبوع الثاني من أكتوبر القادم للزواج.. واستأجرت شقة بشارع فؤاد رخيصة نسبياً وفي قلب البلد حتى نوفر المواصلات نحن الاثنين.

كما قررنا أن يكون الفرح على أضيق نطاق ممكن. فمن العبث أن

نكون فقراء بلا مراء، ونحاول محاولات صبيانية عابثة أن نقنع الناس بغير ذلك! ولأي غرض نقنعهم؟! شغل عيال. إنني أنشىء بيتاً بالتقسيط، ومتوسطاً، وأستغنى عن كل ما لا يلزم.. فكيف يتفق هذا مع إطعام رعيل من الناس «عندهم طعام في بيوتهم».. بمبلغ يكاد يوازي ثمن نصف الأثاث الموجود في منزلي؟!

الغرض. سأكتفي بالملبس في الكنيسة، كما سأقيم الفرح هنا في القاهرة تخلصاً من محترفي الأكل في الأفراح المقيمين بالإسكندرية، وأرجو أن تستعدوا جميعاً في هذا التاريخ للحضور.

سأخطف رجلي للإسكندرية هذا الأسبوع يوماً أو يومين للاستجمام ورؤياكم. أرجو أن تبلغوني ما حدث مع خيري الخياط. والسلام للجميع.

وتهانئي للناجحين.. هداياهم معي.

الفريد

ملحوظة: مرفق بالخطاب حوالة بقسطي الشركة.

زوجة الكاتب(*)

لم يختلف الكاتب المسرحي الفريد مع أسرته غير مرة واحدة، حين اختار للزواج فتاة من الوسط الفني في القاهرة، رأت الأسرة بمعايرها المتعارف عليها في المجتمع إنها ليست الزوجة التي تتمناها لزهرة الأسرة، ورأى الإبن بفكره غير التقليدي أنها أنسب فتاة بالنسبة له!

كان معيار الفريد فرج في الزوجة التواضع والصدق وتفهم دوره ككاتب يحمل رسالة نحو وطنه، لا تثقل عليه بطلباتها، ولا تعطله أو تعكر حياته بالهموم والنكد، وإنما تعضده وتكون سنداً له في أداء رسالته التي عبر عنها بمواقفه وكتاباته الأدبية والنقدية.. هذه الكتابات التي أثرت الثقافة العربية، خصوصاً في فن المسرح.

وبغض النظر عن سلامة التصور أو خطأ التطبيق، سواء من جانب الأسرة أو من جانب الإبن، فقد إنتهى الخلاف ولم يتكرر بعد ذلك قط.

(*) مجلة «نصف الدنيا»، 2 فبراير 2006.

والرسالة التي تنشر للمرة الأولى عن مخطوطها الأصلي، بعد رحيل صاحبها في الثالث من ديسمبر 2005، كتبها الفريد فرج إلى والده في 30 مايو 1957 ، معبراً فيها بدرجة عالية من النضج والوعي والتفتح عن رؤيته للزوجة، دفاعاً عن هذا الاختيار الذي حزنت له الأسرة، كما يتضح بدقة في سطور هذه الرسالة، وما بين السطور.

٣٠ مايو ١٩٥٧

والدي العزيز ،

بعد التحية . لابد من أن أبدأ بشكركم لزيارتكم السارة في هذه المناسبة السعيدة ، وسعة صدركم واحتفائكم [illegible] والمشقة بعيدا عني ، وبشاركم العاطفة التي أضفيتم على نفسي سرورا بالغا .

وأرجو أن تبلغوا خالتي شكرا وتقديري من شكري لكم .

وبعد ، لعلك قد قرأت على خالتي بعض [illegible] ، و[illegible] ما [illegible] . ولكن السؤال [illegible] العذر ، [illegible] واجبا علي أن أفهمها لماذا اعتمدت على اختيار ثريا [illegible] للتزوج منها . لقد اقتنعت بزواجها بعد شهور طويلة من معرفتها وصداقتها ، [illegible] أن توافقي ثريا [illegible] ؟

الصفحة الأولى من مخطوط الرسالة

والمعنى أو المضمون الذي يمكن أن نستخلصه من الرسالة هو حق الأبناء في اختيار الزوجة بإرادة حرة.

ولعلها المرة الأولى والأخيرة في آن واحد، التي يتطرق فيها الفريد فرج للحديث بهذه الاستفاضة عن نفسه وظروفه الخاصة في هذه المرحلة المبكرة من حياته، التي لمع فيها اسمه في الحركة الثقافية قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، وحدد في ضوئها اختياره لهذه الزوجة، مشيراً إلى تطلعاته في مجال التأليف والإبداع، وإلى الأخطار التي تتهدده في المستقبل ككاتب اشتراكي مرتبط بقضايا مصر والعالم، يسعى بكل جهده إلى تغيير الواقع المعاصر، لا مجرد إصلاحه أو تفسيره.

ويلفت النظر في هذه الرسالة أن ما توقعه الفريد فرج لنفسه من هذه الأخطار على سبيل الفرض تحقق بحذافيره، بعد فترة قصيرة، كأنه كان يقرأ الغيب، مثل الفصل من عمله في الصحافة، وإعتقاله عدة سنوات بسبب مفاهيمه ومبادئه اليسارية التي نتعرف على بعضها في هذه الوثيقة، وفي مقدمتها إيمانه الذي لم يتزعزع بالحرية والعدالة والمساواة بين البشر.

ولا تقتصر أهمية الرسالة على الجانب الشخصي الذي يفصح فيه الفريد فرج في شبابه عن طبعه وأخلاقه ومعتقداته، وهي المدخل الصحيح لفهم أدبه، ولكنه يتمثل أيضاً في ارتباط هذا الجانب بتاريخنا الثقافي الذي كان الفريد فرج من أعلامه في ا لعصر الحديث.

وهذا هو نص الرسالة.

والدي العزيز

بعد التحية، لا يسعني إلا أنه أشكر لكم زيارتكم السارة في هذه المناسبة السعيدة، وسعة صدركم واحتمالكم النوم غير المريح والتكاليف والمشقة بصدر رحب، ومشاعركم الصادقة التي أضفت على نفسي سروراً بالغاً. وأرجو أن تبلغوا خالتي شكراً لا يقل عن شكري لكم.

وبعد. لعلّي قد قسوت على خالتي بعض الشيء، وذلك لفرط حساسيتي يومها. ولكني اليوم ألتمس لها بعض العذر، فقد كان واجباً عليّ أن أفهمها لماذا أقدمت على اختيار ثريا بالذات للتزوج منها. لقد اقتنعت بزواجها بعد شهور طويلة من معرفتها وصداقتها، فكيف كنت أنتظر من خالتي أن توافق ثريا مزاجها في ساعات؟

وينبغي عليّ إذن أن أكاشفكم بالأسباب التي اخترت من أجلها ثريا من دون الناس.. الأسباب التي وزنتها وفكرت فيها طويلاً. وها أنذا أقولها لكم بالتفصيل لعل خالتي يهدأ بالها وتستريح.

طبعا كانت خالتي تفكر في أشياء ثلاثة ينبغي أن تتوفر في زوجتي: النسب الذي لا يقل عن قريب لها وزير مثلاً، ووفرة المال، وجمال حسب مستويات في ذهن خالتي عن الجميلات.

وطبعا كنت أنا أفكر في اتجاه مخالف تماماً. لم يكن يهمني النسب لأني ولا غرور لست أقل قدراً اجتماعياً من وزير أو أمير، فإني ككاتب ملحوظ، وموجه سياسي وثقافي (بارز كما لا يمكن أن يخفاكم) لا يزيدني شرفاً أبدا أن أتعلق بأذيال غيري. أنا أكتب افتتاحية الجمهورية السياسية، ويعتبرني الناس في مصر واحداً من روّاد «الواقعية» في الأدب

والفكر، واحداً من روّاد الثقافة الجديدة وصفهم الأولى يشغله ناس يعدّون على أصابع يد واحدة. كما يعتبرني الناس المشتغلين بالفنون أحسن من يفهم حرفة التأليف والإخراج والنقد المسرحي.. فكيف يناسبني أن أتمسح في أعتاب وزير أو أمير؟!

لم يكن يخطر في بالي إذن أبدا أن أفكر في التعلق بجاه غيري، فعندي ما يكفيني من الجاه. ولم يكن في بالي أن شيئاً من جاه الآخرين يزيدني والحمد لله. كما أن خالتي ينبغي عليها أن تعلم أني لم أصل إلى ما وصلت إليه بواسطة أحد الكبراء أو العظماء، بل بجهدي الشخصي، ونظافة نفسي، وصدقي. وليس في نيتي طبعاً أن أرتقي بواسطة نسيب كبير، ولا في نية أحد أن يحترمني أكثر مما يحترمني لأني نسيب فلان الفلاني .. الناس هنا تحترمني لما أكتبه ولما أفعله فقط.

لم أكن أفكر إذن في مناسبة أحد أكبر مني في قدره الاجتماعي، فأنا أيضاً لا أعترف بوجود سلم اجتماعي، وناس أرقى من ناس. وقوام فلسفتي التي أكتب بها وأكافح من أجلها، وأعيش لها انه ليس ثمة هذا السلم، وكل إنسان قدره هو ما يعمله، وما يفكر فيه.

أما المواصفة الثانية التي كانت تفكر خالتي في توافرها في الخطيبة، فهي المال. وهذا لم أكن أفكر أنا فيه أبداً. فعندي كفايتي للحياة المتوسطة المريحة، والحمد لله. ولم يخطر ببالي أبداً أن حماي يجب عليه أن يقدم لي غرفة نوم أو غيره. فأنا كفيل بصنع بيتي في غير إسراف ولا ضيق.

أما نسب الجمال التي تحلم بها خالتي فنسب شاذة جداً. هي تريد لي عروساً كممثلات السينما، فارعات الطول. ولي أنا صديقات بهذا

الشكل، وممثلات أيضاً! ولكني لا أتزوجهن لأني بطبعي لا أميل إلى الجمال المسرف، ولا أحبه. فهو جمال يقترن بالافتتان والغرور، وله مطالب كثيرة لإرضاء هذا الافتتان والغرور. وأنا رجل مشغول جداً ولا وقت عندي لإرضاء مثل هذه المطالب. ولا أحب أن تكون زوجتي محور البيت، وذات مطالب كثيرة. كما أني أحب دائما أن يكون جمال الزوجة في نقاء روحها، وصدق نيتها في أن تكفل راحتي ككاتب مرهق الذهن دائماً، كسول دائماً فيما يتعلق بحياتي اليومية الخاصة. لا أريد زوجة تطلب إلى أن أبحث لها عن أصابع الروج في المحلات، بل زوجة تبحث لي عن كتاب في المكتبات، وعن «تايبست» ذكي وبارع ليكتب كتبي كتابة حسنة، فتراجعها هي.

ولم أكن أفكر طبعاً في بنات الأسر اللائي أشارت خالتي إليهن. فليس عند هؤلاء من الذكاء والفهم والثقافة السياسية والفنية ما يكفيني. فزوجتي ينبغي دائماً أن تفهم لماذا أمتنع أنا عن الكتابة للإذاعة إذا طلبوا مني ذلك، وأضع شروطاً، وأضحى بدخل كبير. وينبغي أن تفهم لماذا يجب ألا أشتغل في دار أخبار اليوم حتى لو كنا جائعين، وينبغي أن تفهم لماذا يجب عليّ أن أشتغل على الدوام بلا تواني.. وأهملها من حين لحين. ينبغي أن تفهم زوجتي أني اشتراكي ذو مبادئ، ورسالة، وأني يجب دائماً أن أضحي، ويجب أن تضحي هي أيضاً من أجل كل هذا.

وإلا.. كان زواجي مفسدة لحياتي وشقاء ما بعده شقاء. وإلا فلأتزوج فاتنة غنية من أسرة عظيمة لأرضى خالتي، ويتسمم دمي وتسود عيشتي أنا على الدوام.

وسأقول لكم بعد هذا لماذا اخترت ثريا زوجة لي. لقد تعرفت على

ثريا منذ سنة تقريباً، والتقيت بها كثيراً منذ ذلك الوقت. ووجدتها حسنة المنظر، حسنة النفس، مستقيمة لا تكذب وغير مزهوة.. ولكني لم أفكر في زواجها في ذلك الحين. كانت صديقة في حكم الصديقات والأصدقاء الذين يربطني بهم العمل في الصحافة، وفي المسرح، وفي الفنون المختلفة.

وكانت ثريا سنة 1952 عضو بجماعة الفنانين أنصار السلام، وعرفت هناك أن السياسية ينبغي أن تشغل اهتمام الإنسان في القرن العشرين. واشتغلت في مختلف الصحف، والتقت بالكتّاب والفنانين وعرفت أي نوع من الكتابة والفن ينبغي على هؤلاء أن يلتزموا به.

وخلال معرفتي بثريا تكشفت لي فضائلها الكثيرة. وعرفت أن ثريا تصلح زوجة لأمثالي.. فهي تفهم جيداً لماذا أكتب، فتعينني على الكتابة (والكتابة عمل ليس كالطب أو الهندسة أو التدريس. إنه عمل لا يصلح له إلا البيت، وينبغي أن تتوافر وسائله في البيت). وهي تفهم لماذا تذكر محطات الإذاعة الاستعمارية اسمي ضمن أسماء فنانين وكتّاب آخرين وتتوعدنا - في حالة وجود حكومة استعمارية لا قدر الله - تتوعدنا بالويل الشديد. وهي من نوع الزوجات اللائي يقنعن بالقليل، ولا يغرهن الكثير، يصبرن إذا لا قدر الله اعتقلت مثلاً أو فُصلت أو غير ذلك، وتؤمن بما أفعله فلا تحاسبني عليه حساب الجشع والاغتيال، ولا تحرضني على خيانة الناس من أجل المال أو الجاه، ولا تطلب إليّ أن آخذها للسينما إذا كنت مشغولاً، ولا تستجوبني إذا سهرت، وتثق بي تماماً، وتشاركني عن فهم عميق آمالي وآلامي، وتستطيع أن تفكر معي في شئون الفن والسياسة وما يجب على عمله وما لا يجب .. هي باختصار تصلح صديقة لي: لا لجمالها، ولا لمالها ولا لأسرتها العريقة، ولكن لسلامة نفسها ونقاء سريرتها ولثقافتها وحسها.

فأنظر كيف تفكر خالتي وكيف أفكر أنا! هي تفكر في زوجة تشرفني حسب مقاييسها، وتصلح زينة لي، وموضوعاً للمباهاة والزهو.. وأنا أفكر في زوجة تشتغل معي، وتصلح صديقة وزميلة وتوفر لي وقتاً وراحة للشغل. لم تفكر خالتي أبداً في أن زوجتي يجب أن تكون فنانة، وتفهم السياسة، ومثقفة حقيقية لا حاملة شهادة زائفة مثل المتعلمين غير المثقفين. هي تريد لي زوجة تباهى بها في مجالسها النسائية الفارغة، ولا يهمها حياتي وسعادتي وشقائي. هي تفكر في زوجة تصلح لموظف في الدرجة الخامسة، لا تفكر في زوجة تصلح لأحد خمسين عضوا يمثلون مصر كلها في المجلس القومي للسلام العالمي، وكاتب اشتراكي أمامه عمل مجهد شاق هام.

لذلك بكت هي يوم فرحي. وهيأت لها سذاجتها أني (إنزلقت) لهذه الزيجة اشتهاء مني للبنت. واقترحت عليّ (غفر الله لها) أن أمشي معها يومين ثم أفسخ الخطوبة! وهو قول أساءني جداً، لما فيه من تحريض على غش أسرة طيبة، وتلاعب لصوصي إذا أنا لاحظته في صديق لقاطعته على الفور واحتقرته غاية الاحتقار. وخالتي عايرت البنت ليلتها بفقرها، ونحن فقراء! وبقبحها، وهي ليست أقبح مني وجها، وبأنها غير ذات نسب .. طيب، ونحن. هل في أسرتنا من هو كبير أو عظيم. كان ينبغي عليها أن تتواضع وتعرف قدرنا. نحن فقراء، غير عظماء، ومع ذلك فنحن محترمون وطيبون وشرفاء. وهذا ما يهم. وأهل ثريا كذلك محترمون وطيبون وشرفاء، وهو ما يهمني أنا.

والذي غاظني أنها صارت تقارن ثريا الفنانة المعروفة المثقفة (ولا أقول إنها مجرد متعلمة) الصادقة المحترمة، ببنات وسيدات خبيثات ،

سيئات الخلق وخاملات.. وتفضل هؤلاء الخبيثات على ثريا. هل تريد خالتي من زواجي أن تقتلني بغيظي؟ هل تريد أن تقتلني بالقيء وتسمم الدم؟ وهذه الفاتنة التي تزوجت ضابطاً. هل كانت خالتي تنتظر منى أن أتزوج بنتا ترضي بالتزوج من ضابط؟ حتى لو كانت هذه البنت هي أفتن الفاتنات! فالبنت التي تتزوج ضابطاً بنت تفكر بعقلية لا تصلح لي، أيا كان هذا الضابط. وذلك لأسباب نفسية تتعلق بالهيام باليونيفورم، وحب التفاهة والهيام بالمظهر أعرف تحليله وخباياه أنا - لحسن الحظ. فشغلتي - الكتابة - هيأت لي خبرة كافية بخفايا النفس الإنسانية ونوازعها.

فأين ثريا من هؤلاء. ومع ذلك فثريا هذه التي لم تحبها خالتي نجم لامع هنا في القاهرة ويتهافت عليها شبان الوسط الأدبي والفني تهافتا شديداً. وأعرف أحد نقباء الصحفيين السابقين، وهو شاب مسلم ولامع جداً، ونابه جداً طلب الزواج منها، فلما رفضت اقترح أن يتنصر كي ترضى به ولكنها رفضت أيضاً لأنها لم تكن تؤمن به، ولا الوسط الثقافي كان يؤمن به، وهذه القصة لم تقلها هي لي، ولكن قالها لي أصدقاء كثيرون أمامه هو نفسه قبل أن أتعرف على ثريا.

لماذا أكتب كل هذا؟ لا أكتبه لأثبت لكي أني لست أحمق. فأنا أعرف جيداً أنكم تدركون رزانة تفكيري واتزاني. ولكني أكتب لكم هذا لمعرفتي أنه ينبغي عليّ أن أقدم ثريا إلى أهلي تقديماً صحيحاً وافياً. وأنا حريص طبعاً على أن تحبوها وتقدروها حق قدرها.. وهي حقيقة بالاحترام والتقدير، ولولا أنها حقيقة بهما لما رشحتها أنا عضوا بأسرتنا، ولما فكرت في أن أحملها اسمي واسم أسرتي. وكانت ليلتها - كما قالت لي - خائفة من نظرات خالتي لأنها خشيت ألا تحبها خالتي. وهي تريد

طبعاً أن تحبكم جميعاً، وتكون بنتا لكم، ولا أحب إلا أن تبادلوها نفس الرغبة. وهي طيبة جداً، فينبغي على خالتي أن تقابل طيبتها بطيبة أكبر.

وقد سألتني خالتي ليلتها سؤالاً أحب هنا أن أجيب عليه سألتني لماذا تركت (...) وهي سمراء فاتنة. صحيح، لعلها أجمل من ثريا، ولكني تركتها منذ سنوات لأني لاحظت فيها تكالبا وشرها كرهته فيها. كانت تسعى سعياً شقياً من أجل الثروة والجاه، دون اعتبار آخر، فكرهتها. وبعدها بسنة واحدة أخرجت من الإذاعة في التطهير متهمة بتقاضي مصاريف سرية، وتزوجت مراسل إحدى الصحف الاستعمارية الأمريكية - وهو مصري، ولكنه فاسد النفس. فكيف كان ينتظر منها أن تحترم تضحياتي وشرف ثقافتي وصدقي وإخلاصي لقضايا الشعب؟ وكيف كانت تنتظر مني أن أحترمها لو أني تزوجتها، وأرضي عن مسلكها؟ هي جميلة، نعم. ولكن أي شقاء أسود كان يمكن أن تكون حياتنا معاً؟!

لعلي خلال هذه الدردشة الطويلة وفقت في طرح القضية، وفقت في أن أشرح موازيني عن الزوجة، ومطالبي، وما أحبه وما أكرهه. وهو ما كان بعيداً للغاية عن ذهن خالتي. فخالتي تفكر دائما في الزيجات العادية التي تحدث حولها كل يوم. لم تفكر أبداً في أني لست كالأزواج العاديين، فأنا شخصية عامة، ولي رسالة أقوم بأدائها، وأحب أكثر ما أحب الشيء النظيف الشريف الهادي. وأحب أكثر ما أحب الشخص المثقف (لا أقول المتعلم فحسب) والوطني، وسليم النفس. كما أحب في زوجتي أن تشرفني بشخصيتها المستقلة وعملها المستقل في ميدان الفكر والفن، لا بزينتها المفرطة، أو باسم عائلتها اللامع.

وأنا أعرف طبعاً أن خالتي فعلت ما فعلته من فرط حبها لي وإخلاصها ورغبتها في سعادتي، أنا متأكد تماماً. وقد غضبت ليلتها فقط لأنها جرَّحت ثريا وأهانتها، ولكني لم أعد غاضباً. فقد قبلتني في القطار، وتأثرت أنا ونسيت كل شيء، وأدركت أني كنت أحمق إذ غضبت، وما غضبت ليلتها إلا لإرهاقي واهتزاز أعصابي في تلك المناسبة. كما أنها لم تهجم عليّ هجمتها الشديدة إلا من إرهاق السفر واهتزاز الأعصاب. ولكني ما كتبت هذا إلا لرغبتي في أن تفهم خالتي، وتثق في أني اخترت ثريا عن معرفة بظروفي وبها، وبظروف المستقبل، ولرغبتي في أن تحبها خالتي، وتتنازل عن تعصبها التقليدي ضدها (كحماة) وتثق في أن ثريا تحبها وستحبها. ونحن أمامنا حياة طويلة إن شاء الله، وأحب لخالتي ولثريا أن يتبادلا حب الأهل، في رقة ورفق وإخلاص. فخالتي أمها، وثريا بنتها وبنتك. ولم أتزوجها أنا عن اشتهاء لجمالها فعندي أجمل منها، أو عن دخلها، فعندي أغني منها، ولكن عن تقدير لكل هذه الظروف التي شرحتها لكم، وعن رغبة في أن أضيف لأسمكم الكريم - بعد إذنكم - بنتا لكم جديدة، لها نفس ميولي الفنية والفكرية، وليست مريضة النفس، ونجم فني لامع في عالم الرسم، وتستطيع أن تحبكم مثلما أحبكم، وتفهم مشاكلكم ومتاعبكم مثلما أفهمها، وتكون رفيقة بكم، أختا صادقة لإخوتي .. وأحب لخالتي أن تبادلها نفس المشاعر.

وختاماً.. أرجو أن تقبلوا جميعاً أصدق الود والشكر، أدامكم الله وأدام أفراحكم، وسلامي لكم جميعاً.

الفريد

من ألفريد فرج إلى أبيه(*)

تعرض أخي ألفريد في حياته الأدبية التي بدأت في الخمسينيات، كما تعرض عدد كبير من المثقفين في بلادنا، لمتاعب شتى، اتخذت عدة أشكال، مثل: الفصل من العمل، والاعتقال، والعزل السياسي، والمنع من الكتابة، والرقابة.

وعلى الرغم من سوء الأوضاع التي واجهها في هذه الفترات، فلم يتنكب طريقه ككاتب ملتزم، مغرم بالبحث والمغامرة، لا يفقد إيمانه أو شعوره الغامر بالحياة، أو ثقته في الغد.

وكان يملك دائماً الطاقة على أن يحتفظ - تحت أقسى الظروف - بطبيعته السمحة، وصفاء بصيرته، وبقدرته على رؤية خيوط النور الكامنة في أحشاء الظلام.

وأنا أعتذر عما في هذه الكلمات من إطراء لأخي، دفعني إليه الحرص

(*) مجلة «الشموع»، أكتوبر 1991.

على أن أقدم له صورة دقيقة، تعتمد على معرفتي به، ولو أن شهادتي لا تجوز، إن سلمنا بأن الأخ صورة النفس.

والرسالة التالية التي تعكس بعض أبعاد الواقع الثقافي في أواخر الخمسينيات، رسالة خاصة جداً، كما سيلاحظ القارئ بوضوح، كتبها الفريد فرج إلى أبي في 25 مايو 1958، بلغة بسيطة قريبة من لغة الكلام، خالية من أي تأنق، كما هو مألوف في الخطابات المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة، يطمئنه فيها على أحواله المعيشية في القاهرة، بعد فصله من جريدة «الجمهورية» مع ستين كاتباً وصحفيا.

ومع هذا فإنها، بصدق تعبيرها، قطعة أدبية لها قيمتها المستمدة من قيمة كاتبها، ومن الحدث التاريخي الذي ترويه، ومن الروح الخفية التي ترف بها خطابات الابن إلى أبيه، وليس العكس، كما نجد في كل ما نعرف من رسائل، يتوجه فيها الابن إلى الأب.

ولبيان الظروف التي أدت إلى هذا الفصل من جريدة الثورة «الجمهورية» لابد من الإشارة إلى العلاقة المباشرة بينها وبين مسرحية «سقوط فرعون» (1957) التي صور فيها الفريد اخناتون، فرعون مصر، عاجزاً عن الجمع بين الدعوة المطلقة للسلام والتوحيد وبين الحكم، أو بين النبوة وريادة الروح وبين الملك، في صراعه الملحمي لنشر رسالته الإنسانية، حتى فقد عرشه على مهاد الفضيلة العزلاء، دون أن يستمع إلى رأي غير رأيه، وسقط سقوطه التراجيدي المدوي، بعد أن خرب بلاده بمبادئه السامية، ونشر فيها الفتن، وضيع مجدها بأحلامه وتطلعاته الثورية.

ولم يكن الإسقاط السياسي على جمال عبدالناصر وسياسته يخفى على أحد، خاصة بالنسبة لكاتب لا يعرف العزلة أو الابتعاد عن السياسة.

وهكذا رأت أيضاً عيون العسس.

لهذا أوقفت المسرحية قبل أن تتم الأسبوع الثاني من عرضها، رغم الضجة النقدية التي أثارتها في الصحف والمجلات، أو بسبب هذه الضجة. وكان وقفها بمثابة الضربة التي تكسر أي كبرياء فني، وتهدد كاتبها بالانصراف عن الكتابة. وقد ظلت المسرحية، نتيجة لذلك، مخطوطة في درج مكتبه، لا يجد الحافز لنشرها، حتى صدرت بعد ثلاثين سنة، في 1989، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ضمن الأعمال الكاملة لألفريد فرج.

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل كان له أيضا ما بعده من أحداث أو تداعيات أكثر حدة، تمثل في اعتقاله أربع سنوات متصلة، من 1959 إلى 1963، تحملها أخي بجلد عظيم.

وفي المعتقل كتب ألفريد فرج واحدة من أفضل مسرحياته وأكثرها تماسكاً، وهي كوميديا «حلاق بغداد» التي قارنها النقاد بحلاق أشبيليه للكاتب الفرنسي بومارشيه، بروحها المرحة، ومضمونها الإنساني الواقعي.

وعند عرض هذه المسرحية وجدت هي الأخرى من يحاول بنفس الآلية البوليسية أن يوقع بين المؤلف وبين السلطة، حين تساءل كاتب في مقال غير موقع، ولكنه شد الانتباه، نشر في جريدة «الأهرام» في 2 فبراير 1964، عن المقصود بشخصية الخليفة أمير المؤمنين، في بغداد الخيالية، الذي لا يدرك شيئاً مما ينخر في جسد الدولة من فساد ورشوة ومظالم وبطش بالضعفاء، وكل ما من شأنه، في الدلالة المعاصرة للمسرحية المستلهمة من التراث القديم، أن يحطم الأماني الوطنية للشعب، عراها حلاق بغداد بروح مرحة متفائلة، وبتلقائية واضحة، وبضمير اجتماعي

يقظ بدا به كأنه رسول العناية الإلهية، الذي ينتصر للحق والعدل، حتى لو ضحى برزقه ونفسه.

كان واضحاً أن مقال «الأهرام» يشير بإصبع الاتهام، وبقدر كبير من التبجح، إلى معاداة الفريد فرج للنظام القائم، من خلال التلميح بأنه يقصد، بهذا الخليفة اللاهي عما يدور في مملكته، رئيس الدولة جمال عبدالناصر، ويعني بغياب العدل والطهارة والأمان التنديد بنظامه. إلا أن الفريد تجاوز الموقف بالتزام الصمت، وهذه عادته حيث تتلبد السماء بالغيوم، واستجابة لتوصية المحيطين به من الكُتاب والنقاد بعدم الرد على مثل هذه الاتهامات المجانية، التي يجيدها حملة المباخر في كل العهود.

وبذلك لا تجد هذه الاتهامات ما يمكن أن يغذيها أو يمدها بالوقود، ولو ضحى برغبة الآخرين في الرد، وصادر حقهم في الدفاع عن عمله الذي يرونه مستحقاً لهذا الدفاع.

هذه هي الظروف التي تلت الفصل، وتعتبر امتداداً لها.

وهي ظروف تطرح قضية العلاقة بين الثقافة والسياسة، وبتعبير أدق علاقة ثورة 1952 في مصر بالمثقفين. إنها قضية ملحة، تحتاج وقفة طويلة، كتاريخ وواقع، قضية الديمقراطية، لأنها تفسر الكثير من الممارسات التي نزلت بالكُتاب والمثقفين في الماضي، من جراء غياب الديمقراطية وريبة الثورة في المثقفين، وإحلال أهل الثقة، من عديمي المواهب مكان أهل الخبرة، ومعاداتها الصريحة أو المضمرة لحرية الرأي أو للرأي الآخر، وإهدارها لكرامة الإنسان.. دون أن يعني هذا طمس الإيجابيات التي تحققت لمصر على جميع الأصعدة في عهد عبدالناصر، وإن لم يتكامل

مشروعه في الدولة العصرية التي تنهض أسسها على الديمقراطية كما تنهض على التحرير الوطني والوحدة والاشتراكية والتحديث.

على أن الأهمية الحقيقية لهذه الرسالة تتمثل في كشفها لجوانب من ثقافة الفريد فرج العربية، ومن شخصيته ككاتب له رؤيا سياسية محددة يلتزم بها، نطالعها بوضوح في مؤلفاته، وفيما تعبر عنه هذه الرسالة من نفس أبية واعية بذاتها وبما يحيط بها، تعتز بملكاتها وهي بعد في بداية الرحلة الأدبية، وتعرف في هذه السن دون الثلاثين، كيف تواجه بحكمة العواصف ورياح الزمن، وكيف تدبر أمورها وسط الصعوبات والخطوب، بلا شكاية، وكيف تشق طريقها المرسوم أمام الغايات المتناقضة للمصالح بين ما هو خاص وما هو عام، أو بين المصير الفردي والمصير الجمعي.

كما تشف الرسالة عن ملامح عاطفية في شخصية الفريد، لم تستطع العقلانية التي تنطبع بها كتاباته ومسرحياته أن تجهز عليها.

بقي أن أذكر أني حذفت من هذه الرسالة بعض الكلمات والجمل التي لا تؤثر على جوهرها، وهذا هو نصها:

25 مايو 1958

والدي العزيز

أكتب إليك خطابي هذا وأنا في تمام الصحة والراحة النفسية، لا يزعجني غير ما وصلني عن إنزعاجكم بسبب حادث الجمهورية الذي لا يمكنني بحال من الأحول أن أنعته «بالمشئوم» فقد أراحني والله العظيم ثلاثة راحة عظمى.

وقد كنت فكرت مائة مرة في أن أبدأهم بالاستقالة، ولم يكن يثنيني عن ذلك إلا أنهم رفضوا استقالتي ثلاث مرات، وخدروا أعصابي بما يبقيني. وقد كان تمسكهم بي كتمسك التركي الغشيم الذي لا يهون عليه أن أخرج من عنده بمشيئتي، فيدبر لي في الخفاء ما يكيد لي به، ومع ذلك يتلذذ بإبقائي أطول فترة ممكنة..

ومع ذلك فما هو بالقدير على الكيد لي..

لقد كادوا لأنفسهم المرة بعد المرة. وأقول لك الصدق كنت أنا أكثر إشفاقاً على الجمهورية منهم، فبينما كان معظم العارفين بفساد أمرها لا يبالون بها عاشت أو ماتت كنت حريصاً دائماً على توجيه العمل بما يكفل إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والمساعدة في صدق على الاحتفاظ للجمهورية بأرقامها.. في الوقت الذي كانت الجمهورية تعاني من آلام المحتضرين، ويتدهور توزيعها من مائة ألف إلى 25 ألفاً !

ومع ذلك فلم أكن ألقى ما أستحقه من راحة. كنت أعيش في غمة.. في وكر أفاعي معتم، قد احتشدت فيه الجواسيس والجراثيم، وألوان الاستفزازات واللامبالاة وسوء الإدارة، والاختلاسات.. وترصد لها الضياع والكساد.

ولم يكن يبقيني في هذا الجو الخانق غير حرصي على صيانة سياسة عبدالناصر الخارجية، وحرصي على ألا يقال أن جماعة كذا أو كذا قد اختلفوا مع الحكومة.. الخ.

كان بقائي موقفاً سياسياً، وقد وقفته على حساب أعصابي، وعلى

حساب دخلي أيضاً. فقد كانوا يبقونني رغم اعتزامي الاستقالة أكثر من مرة كما كان يبقى كافور المتنبي: جوعان يأكل من زادي ويحبسني.. فقد كنت في الجمهورية عاجزاً تماماً عن الكتابة في صحف أخرى، وهم عاجزون تماماً عن مجازاتي الجزاء الحسن لانهيار المؤسسة المالي، وفساد ميزانيتها، وكل يوم يصدرون أمراً عجيباً.. فاليوم ممنوع السلف، وغداً خصم المكافآت المضافة على المرتب، وبعد غد وقف العلاوات.. الخ.

وكان الواحد منا يواجه موقفاً شاذاً. فالجريدة بلا مستقبل، لا أمل في انتشالها، والمرء لا يستطيع أن يغرق مع السفينة عن طيب خاطر!.

وهكذا، فلا تدهش إذا قلت لك أني احتفلت أنا وثريا في يوم أول مايو بمناسبة سعيدة هي فصلي من الجمهورية مع قائمة الستين فشربنا البيرة في حديقة الجبلاية بالأزبكية وكان الجو رائقاً صافياً سعيداً، ولم يكن ينقصنا سوى مشاركتكم لنا..

أما عن العمل فلم أستقر بعد على أمر قاطع ولكني خلال الشهر الحالي استجممت وتنزهت، وشممت الهواء بعد حرمان طويل وجلست إلى مكتبي فكتبت حوالي ست قصص قصيرة سأنشرها تباعاً في صباح الخير وروز اليوسف والمساء وأظنها ستكفل لي ما يكفيني ويعوضني عن مرتب الجمهورية أو يزيد قليلاً.

وأمامي بعد ذلك عرض للاشتغال في مجلة المصور بنفس مرتب الجمهورية مع إمكانية الكتابة في سائر مجلات دار الهلال بأجر إضافي طبعاً.. ولكني لم أحزم أمري بعد.

ولم أحزم أمري لأني إستمرأت كتابة القصص، والتحرر من قيود الصحافة - ولو إلى حين - حيث أني بذلك أستمتع بحرية مطلقة، ولا أخسر في الدخل.. ولأني أيضاً أنتظر نبأ من الزميل الكبير كامل الشناوي الذي رشحني لأصحاب الأهرام - على شرط أن ينشئوا قسماً للأدب والنقد الأدبي أتولاه.

وغير ذلك أمامي خلال اليومين المقبلين عرضاً بترجمة كتاب آخر نظير مبلغ يجزيني شهرين، وعقداً لترجمة مسرحية للفرقة المصرية نظير مبلغ مماثل.

كما أن أمامي «مسرحيتين» إذا فرغت منهما أستطيع أن أعيش بثمنها - بالراحة - حوالي 8 شهور.. الخ الخ..

فأنت ترى يا والدي العزيز كم كانت الجمهورية تعطلني، وتشل قلمي وتبدد وقتي وجهدي. ولكني أحمد للجمهورية شيئاً واحداً.. هو أنها لم تأخذني بلحاً وتلقيني نوى. لقد دخلتها ولاسمي ثمن، وخرجت منها واسمي لا يقل ثمناً إن لم يزد.

كما أني بعد كل ذلك أمامي مكافأة وتعويض تعرضهما الجمهورية يبلغان في مجموعهما مرتب 9 شهور ولكني لم أتسلمها للآن لأني أطالبهم بزيادتها إلى سنة، وعلى العموم سنسوي الأمر حسب الظروف.

فأنت ترى أني لم أقع في مأزق يسوغ انزعاجك - مع شكري العميق، وتقديري لهذا الانزعاج.. ولكنه انزعاج لا لزوم له. وسأدبر أمري أنا طبعا بحكمة وروية..

أهم من كل ذلك أني أصبحت أكثر حرية في التنقل، وقد أزمعت

زيارتكم يومين في نهاية الأسبوع الحالي أو الذي يليه، وسأتلفنكم قبل حضوري طبعاً لأحدد لكم موعد السفر.. وسأنتهز هذه الفرصة لتنزيه ثريا على الشاطئ، وهي مشتاقة لكم جداً، وتعاتبني باستمرار لعدم سفرنا..

وقد وحشتوني جداً، ووحشتني أخباركم الطريفة وأحاديثكم الحلوة..

أتعشم أن يكون الأطفال الكبار مثابرين على المذاكرة والحفظ الصم.. لا يتعاركون على المكتب، وعلى دقات الساعة، وعلى لغط الضيوف..

وأخيراً أتمنى لكم من كل قلبي دوام الصحة والعافية وثريا تهديكم مزيداً من السلام والتمنيات الطيبة.

والسلام.

الفريد

من المعتقل الفريد فرج إلى أبيه(*)

تعرض أخي الفريد فرج للاعتقال أربع سنوات من 1959 إلى 1963، غاب فيها عن زوجته وأسرته وأصدقائه وكتبه وحياته الأدبية ومسرحه، بعد أن قدم للمسرح المصري في 1956 «صوت مصر» وفي 1957 «سقوط فرعون».

ولأنه لم يكن منتمياً إلى أي تنظيم فوق الأرض أو تحت الأرض، التجأ إلى القضاء بعد سنوات طويلة من الإفراج عنه، لكي ينصفه مما حاق به من ظلم. وحكم له القضاء في أوائل الثمانينات بتعويض مادي قدره تسعة آلاف جنيه مصري، عن النفي والتعذيب والمعاناة التي نزلت به من دون اتهام يبرر الاعتقال، ومن دون أدلة أو قرائن أو تحقيق قانوني يثبته، ومن دون دفاع عن النفس.

وخلال سنوات الاعتقال الأربع لم تكن أسرته أو زوجته تعرف عنه

(*) جريدة «الأنوار»، بيروت، 8 ديسمبر 2003.

شيئاً، إلا إذا وصلتها رسالة بخطه مع أحد الأشخاص المجهولين، الذي يقبل في ظلام الليل وينصرف على التو في الخفاء، لأن الرسائل كانت في كثير من الأوقات ممنوعة. وحين يكون مسموحاً بها تكتب تحت الرقابة المشددة التي تشك في كل حرف، لا في كل جملة أو في كل كلمة.

ولا ريب أن هناك رسائل كثيرة ضاعت في الطريق، أرسلها الفريد فرج في هذه المحنة ولم تصل. أو مزقت بعد وصولها ومطالعتها، بناء على طلبه، حتى لا تجلب من المشاكل ما نحن في غنى عنه.

ومن بين الرسائل التي لم تفقد، واستطعت المحافظة عليها منذ هذا التاريخ إلى اليوم، هذه الرسائل الثلاثة التي كتبها الفريد فرج إلى أبي مرقص فرج بشارة.

وسيلاحظ القارئ على هذه الرسائل إنها شخصية جداً وقصيرة، وتقتصر على التعبير عن العواطف والسؤال عن الأخبار الأسرية.

ومع هذا فإنها بحكم الظروف التي كتبت فيها هذه الرسائل والقلم الذي كتبها، تعد وثيقة ذات دلالة تهم كل من يبحث فيها عن علاقة نظام الحكم بالمثقفين، في غياب الحرية، وما يصيبهم من إعتداء سافر على أبسط حقوق الإنسان، كما حدث لألفريد فرج وللمئات غيره، في هذه المرحلة من التاريخ التي إرتفعت فيها في سماء مصر أجمل شعارات ثورة 1952!

والقراءة المدققة لهذه الرسائل تقدم للقراء رغم اقتصارها على الجانب الشخصي مستوى رفيعاً من التعبير الصادق عن حب الابن للأب وبره به، يجعل منها قطعاً أدبية لا تطوي، ونحن في زمن بغيض، نفتقد فيه مثل هذه المشاعر الجميلة، وليس من السهل العثور عليها.

كما أن هذه القراءة المدققة للرسائل يمكن أن تضع يدنا هنا أو هناك على عبارة أو عبارات تكشف أوضاعاً غير معروفة، مثل قول الكاتب أنه يتمسك في المعتقل بالخلق والشرف، وهي إشارة قد لا تكون مقصودة إلى ما يجرى في المعتقلات من إفساد لضمائر المعتقلين ومن تخريب نفوسهم بالوعود والوعيد، حتى يعترفوا بما يخدم السلطة ويقوي جورها واستبدادها، أو يكونوا عيوناً أو مرشدين لها على الآخرين.

ويرى علماء النفس والاجتماع أن مثل هذه الأعطاب والتشوهات التي تقع داخل المعتقلات وأقسام الشرطة، بلا رقابة وبلا محاسبة، تلقي بظلها على المجتمع الخارجي، الذي يتخلى عن صفاته الأصلية، ويحل محلها هذه الصفات المشينة التي يفرزها العسف والقمع والغطرسة، لأنه كما يكون الزرع يكون الحصاد.

أما على المستوى الثقافي فمثل هذه الأنظمة لا تفرز في النهاية إلا ثقافة هشة، ومواطناً مهزوماً من الداخل، ووطنا ضعيفاً متهافت البناء، لا يملك دروع الحماية أو حوافز التقدم.

وقبل أن نطالع هذه الرسائل يجب أن نعترف بأن المعتقلات السياسية «ظاهرة طبيعية»، في العالم العربي، تمارسها الأنظمة العربية الشمولية بدافع الزعم بأنها تحافظ بها على وجودها!

والصحيح أنها تقوض بها وجودها إن آجلاً أو عاجلاً، كما تقوض كل ما تحقق من مكاسب، وتفقده قيمته ومصداقيته، لأنه لا قيمة ولا مصداقية للمكاسب، ولا وجود حق للسلطة، إذا تضاربت مع شرعية القانون، وحقوق الإنسان. كما أنه لا عبرة بدستور جيد لا يطبق بالصورة الجيدة.

وقد آن الأوان لأن تصبح هذه الظاهرة من تراث الماضي المثقل بالآثام

والخزي، وأن يصبح القانون في عالمنا العربي والعالم حاضراً (لا يأخذ أجازة!)، وأن يكون القضاء حياً، والمواطن محترماً احتراماً كاملاً..

وهذه هي رسائل الفريد فرج:

الرسالة الأولى

والدي العزيز

إن شوقي وحبي لكم لا يمكن أن تعبر عنه هذه الكلمات.. إنني بعد هذه الغيبة الطويلة عنكم وعن خالتي والإخوة جميعا، وبعد كل هذه السنين التي لم تتح لي مراسلتكم إلا نادرا، والاطلاع على أخباركم إلا قليلا.. أشعر مع ذلك أني أكثر شوقا وحبا لكم، وأملأ بالتمني أن أراكم قريبا وأنتم في أتم صحة وسعادة.

لقد كتبت لكم خطابين من الواحات ونظرا لأننا لم نتسلم خطابات من الخارج، فأنا هنا لا أعرف حتى إذا ما كان هذان الخطابان وصلا أم لا. ولكنني والحمد لله قد تسلمت استثناء خطابا قريبا من زوجتي طمأنتني فيه على صحتكم وعلى نجاح الإخوة وأخبارهم الأخرى..

وقد فرحت جدا لهذه الأنباء وأرسلت عن طريق زوجتي أهنئكم وأحييكم.

إن قلة كتابتي لكم فرضتها الظروف التي تحيط بي فأرجو أن تعذرني وتغفر لي. وإنني لواثق تماما من سؤالكم عني وعطفكم على وأتمنى أن يتيح الله لي أن أرد بعض ما أنا مدين به لكم من عرفان وتكريم.

لعل هذا الخطاب أن يصلكم في نشوة العيد، أعاده الله عليكم بالصحة والسعادة. فتقبلوا تهنئتي وأرجو أن تبلغوا الإخوة جميعا وخالتي عايدة المحبوبة أطيب سلام وأحر الأشواق والتهنئة بالعيد السعيد.

أنا في صحة جيدة فأرجو أن تطمئنوا. وأنا كعهدكم بي - رغم المحنة والشدة- أذكر ودكم وشهامتكم وحبكم وأتمنى أن أكون دائما جديرا بكم متمسك بالخلق والشرف متمنيا أن تزول هذه المحنة وتجمعنا في القريب العاجل أيام سرور وهناء وطمأنينة لأنعم بكم جميعا وأنتم في خير حال.

أود أن أبلغكم يا والدي العزيز أن إبنتكم العزيزة ثريا تقوم بالواجب نحوي كاملا، وأرجو أن تحيطوها أنتم والإخوة برعايتكم دائماً، وتواصلوا السؤال عنها وزيارتها كلما أمكن ذلك، ومساعدتها ما أمكنكم على تحمل هذه المشقة، وإحاطتها بما تستحق من عطف وود ومساعدة.

كما أرجو إبلاغ تهنئتي القلبية لنورة وألبير ونبيل على نجاحهم ومجدي الحبيب. كما أرجو إبلاغ أعطر التحيات لخالتي عايدة وشكري البليغ للدكتور الفونس ورجاء أن يرسل مع طرد الأدوية المعتاد زجاجة أسبرين مائة حبة.

وأتمنى أن أستطيع في المستقبل الكتابة لكم أكثر مما سبق.. وإلى أن نلتقي تقبلوا يا والدي العزيز أنتم والأهل جميعاً أحر تهنئة بالعيد السعيد وأخلص التمنيات القلبية والسلام.

الفريد

3/1/1961

الرسالة الثانية

والدي العزيز

منذ تسلمت خطابكم الكريم في مارس الماضي لم يصلني منكم ولا من الإخوة الأعزاء أي خطاب مما أزعجني جداً، فإن كلماتك المحبة الحارة ملأت قلبي عزاء وتملأه طمأنينة وراحة.. عسى أن يكون العائق خيراً. كما أنني وقد مضت شهور على خطابكم لم أتسلم من طرفكم غير خطاب واحد من الأخ نبيل وخطاب واحد من الأخ الفونس، وهذا يزيد قلقي.

يسرني أن أخبركم أني انتقلت للقاهرة، والمكان هنا مريح جداً لا ينقصني إلا رؤياكم والتعزي عن بعدكم بتلقي خطاباتكم الحبيبة إلى نفسي، وقد أصبح الإفراج وشيكاً إن شاء الله تعالى. وأتعشم أن أتمكن من قضاء جزء من الصيف بينكم والاستمتاع بكرم عواطفكم وحبكم. وقد تغير عنواني بالانتقال فأرجو إرسال الخطابات بعنوان: مكتب شؤون المعتقلين بإدارة المباحث العامة بالقاهرة – لفلان الفلاني.

أتعشم أن تكون خالتي عايدة والإخوة كلهم الفونس وأليس ونوره والبير ونبيل ومجدي بصحة جيدة. كما أرجو إبلاغ سلامي للأستاذ نخلة وإبلاغ الفونس بتغير عنواني.. وأتمنى أن يصلني منكم قريباً مزيداً من الخطابات تحيطونني بها علماً بأخباركم وبصحة الجميع.

ولك مني يا والدي أخلص الحب والأشواق الزائدة لكم وللأهل والأقارب جميعاً.

الفريد

14/6/1962

الرسالة الثالثة

والدي العزيز

تحياتي وأشواقي لكم ولخالتي العزيزة والإخوة جميعاً.. أتمنى أن تكونوا في أتم صحة وسرور وأن تكون رحلة الإسماعيلية قد رفهت عنكم وعن مجدي ترفيها ساراً.

إنني من شدة شوقي إليكم أتلهف بشدة على خطاباتكم وخطابات الإخوة.. رغم قلتها، ورغم أنها لا تعوضني إلا قليلاً جداً عن رؤياكم والائتناس بكم والاطمئنان بنفسي على صحتكم الغالية والاستمتاع بودكم المخلص الرقيق.

ولقد سرني جداً أن علمت برحلتكم للإسماعيلية، وأن الأخ الفونس قد ساهم في الترويح عنكم .. وودت من صميم قلبي أن تتيح لي الظروف أن أساهم أيضا في القيام بما يجب على نحوكم.. وإني يا والدي العظيم أطمح أشد الطموح أن تتاح هذه الفرصة لي قريباً فأحظى بزيارتكم لي بالقاهرة وأنعم بقربكم مدة.. كما أثارت هذه الأنباء شوقي لزيارتكم بالإسكندرية التي أتعشم رغم طول المدة التي قضيتها بعيداً عنكم - أتعشم أن تكون قريبة رغم كل شيء، لأعوض ما فاتني من رفقتكم ورفقة الإخوة.

وختاماً أرجو أن تبلغوا سلامي للخالة العزيزة عايدة والإخوة جميعاً فرداً فرداً بما فيهم الأستاذ نخلة المحبوب ورؤوف الصغير الحبيب، وتقبلوا مني أخلص الحب وعاطر السلام.

الفريد

24/8/1962

من المعتقل الفريد فرج إلى زوجته(*)

بعدما طالع القراء رسائل الفريد فرج إلى أبيه مرقص فرج بشارة التي كتبها أثناء اعتقاله في الحكم الناصري، نطالع اليوم رسائله إلى زوجته. وقد كتبت بدورها في تواريخ مقاربة لتواريخ رسائله إلى أبيه في 1962، وهي ثلاث رسائل وصلتني مع رسائل أخرى لي ولأفراد الأسرة. وقد استطعت نسخها في دفتر خاص قبل تسليم أصولها إلى من أرسلت إليهم، خوفاً من ضياعها، ولمتابعة ما جاء فيها من مطالب، وأهمها النقود والأدوية.

ولمن لم يقرأ الرسائل الأخرى، أعيد قول ما ذكرته في تقديمها من أن اعتقال الفريد فرج دام أربع سنين من 1959 إلى 1963. وقد جرى هذا الاعتقال وهو يعمل في مجلة «حواء» بدار الهلال، بعد فصله من جريدة «الجمهورية» من دون اتهام صحيح أو تحقيق قانوني أو حكم قضاء.

(*) جريدة «الأنوار»، بيروت، 9 ديسمبر 2003.

ولهذا حصل الفريد فرج على تعويض مادي عندما التجأ إلى القضاء مخاصماً الحكومة في هذه الجريمة، جريمة سلب الحرية والتعذيب التي لا تسقط بالتقادم.

وقد حاول بعض الصحفيين المعاديين لمصر أن يصيدوا في الماء العكر، ويصفوا لجوء الفريد فرج إلى المحاكم طلباً للتعويض عما نزل به من الحكم الناصري بأنه انقلاب من الناصريين الذين ينتمي إليهم الفريد فرج على عبدالناصر وتاريخه.

غير أن الفريد فرج دافع عن نفسه بأن النظام الناصري، وهو نظام وطني في المحل الأول، كانت له سلبياته بمثل ما كانت له إيجابياته، وأنه لم يكن في موقفه من ثورة 1952 المحب المتيم للناصرية على طول الخط، وإنما نقدها بمثل ما آمن بها ودافع عنها.

ومن الحق المشروع للإنسان أن يتضرر من المظالم التي عانى منها، مثل الاعتقال وما صحبه من تعذيب وفقد كل الحقوق، وهي أخطاء فادحة لا ينكرها أحد، تورط فيها النظام الناصري، وتورطت فيها أجهزة الأمن الناصرية التي يرى البعض أنها دربت في معتقلات النازية الألمانية.

ولست في معرض مناقشة رأي الفريد فرج حول تقييم العهد الناصري بين الإيجابيات والسلبيات، ولا أريد أن أكون ملكياً أكثر من الملك، ولكن كل ما أستطيع أن أقوله - وقد أكون مخطئاً أو مغاليا - أن نظاماً عادي الديمقراطية بهذا الشكل السافر، ولمصر تراث حي في الديمقراطية، ونشر الرعب في المجتمع كما فعل صدام حسين في العراق، لا يستحق الدفاع عنه، مهما جلجلت في العالمين مكاسبه وانتصاراته، أو على الأقل يجب أن نتردد كثيراً في الدفاع عنه، لأن هذه المكاسب والانتصارات -

في غياب الديمقراطية والحريات العامة - تجيء من قبيل المنح، لا كحقوق مشروعة للشعب، وكان يمكن ألا تتحقق دون أن يحرك أحد ساكناً.

ولاشك أن تأييد الفريد فرج للناصرية هو الذي جعله يرجئ كتابة «ذكريات وراء القضبان» الذي وضعه في نهاية التسعينات الماضية. وصدر في كتاب بعد رحيله في 2006.

وهذه نصوص الرسائل الثلاثة التي أرسلها الفريد فرج إلى زوجته في هذه المحنة، لم أحذف منها حرفاً، ولم أعدّل فيها كلمة.

الرسالة الأولى

ثريا العزيزة

وصلتني صورتك كما يصل شعاع الشمس للمسافر في الظلام. إنني أحفظها بإعزاز وأقرأ كلمات خطابك كثيرا فتملأ قلبي سروراً وتأثراً لعواطفك النبيلة، الحزينة مع ذلك، ولا يسعني إلا أن أكرر دعوتك للانشغال عن آلامك بالنزهة والعمل.

لقد سرني أنك ذهبت للإسكندرية وأنك والإخوة قطعتم فروتي كما وشى لي نبيل في خطابه اللطيف الرقيق. هل تذهبين للسينما والمسرح؟ لم لا تنقلي الحامل للجيزة وتشغلي وقتك بالرسم هناك. إنه لمما يسرني جدا أن أخرج فأرى لك إنتاجاً وفيراً.. خذي خليل واذهبا للإسماعيلية فجوها الجميل الهادئ سيبهجك كثيراً.

أتمنى أن أقرأ في خطاباتك الآتية أنك تجدين السرور في أي شيء وأنك تقضين وقتاً ممتعاً رغم آلامك الكثيرة، فلا شيء يسعدني هنا مثل أن يبلغني ذلك يا أعز الناس عندي.

وصلني خطاب بابا إبراهيم والأخ نبيل والأخ الفونس وقد تأثرت جدا لما عبروا عنه من عواطفهم السامية ومحبتهم الغالية. ولو كنت أستطيع في هذا الحيز الضيق لعبرت لكل منهما عما يجيش به صدري لهم ولماما روما وماما عايدة والأخت فينيس واليس ونورة والإخوة خليل والبير ومجدي وسائر الأهل والأصدقاء عما يضطرب به قلبي من حب وشوق كبير.. فأرجو أن تبلغيهم جميعا عني أصدق الحب وأخلص التحيات، وعذري عن ضيق المجال.

وقد بلغني في رسالة نبيل أن بابا مرقس كتب لي، ولكني للآن لم أتسلم خطابه للأسف.. وإني لمنتظره على أحر الشوق. كما أرجو إبلاغي عن صحة ماما عايدة العزيزة[1]، وكتابة مزيد من أخبارك يا حبيبتي وأخبار الأسرة.

لقد تسلمت الطرد الذي ذكرته والحوالة. أرجو إبلاغي في الخطابات بانتظام بمحتويات الطرود التي ترسلينها وأرقام الحوالات. كما أرجو أن تكتبي لي قائمة بالحوالات التي أرسلتها لي على الفيوم منذ أغسطس الماضي للآن والأشياء الهامة فقط التي أرسلتها بالطرود.

كما أرجو إرسال بيجاما صيفي في الطرد القادم. أسفت جدا لحكاية النقابة لعلهم يكونون منتظمين الآن في صرف الإعانة. كم يصرفون لك؟

---

(1) توفيت في 1959 بعد اعتقال الفريد، ولم يعلم بخبر وفاتها إلا بعد خروجه من المعتقل.

أنا بصحة جيدة، ولا تقلقي من تأخر خطاباتي أحيانا فهذه مسألة عادية، كما أرجو ألا تعطلي أنت خطاباتك انتظارا لخطاباتي حتى لا تحرميني من هذه المسرة كثيرا.

بلغي تحياتي وشكري العظيم لألفونس وإجعليه يهتم بالمداومة على إرسال الحبوب والحقن، إذ أننا مقبلون على الصيف موسم الحساسية.

أرجو إرسال أنبوبة معجون أسنان. وفي الختام أتمنى أن نلتقي قريباً، ولك مني يا حبيبتي أحر الأشواق وعظيم حبي وقبلاتي.

الفريد
11/4/1962

الرسالة الثانية

ثريا العزيزة

أكتب لك هذا الخطاب وأنا في شدة القلق إذ أني لم أستلم منك سوى خطابين بتاريخ مارس الماضي، وأنا لا أرى لذلك سبباً يبقى على إطمئناني عليك وعلى الأسرة والأحباء. ورغم أني تسلمت حوالة وطرد هذا الشهر فإني أنتظر بشوق ولهفة وقلق شديد خطاباً منك يدلني على أخبارك ويطمئنني على صحتك.

إذا كنت قد أرسلت لي خطابات فعلاً فأرجو أن تقدمي شكوى للمباحث العامة، كما أرجو أن تعيدي ثانية كتابة كل ما كتبته ولم يصلني. كما أرجو إرسال الخطابات مسجلة إذا كان ذلك أدعى لوصولها.

وقد كنت طلبت إليك إطلاعي على أشياء كثيرة في خطاباتي السابقة، فأرجو إبلاغي بها فور وصول هذا الخطاب إليك. كما أرجو أن تداومي على الكتابة بكثرة وباستمرار وأن تكتبي للإخوة والوالد في الإسكندرية ليداوموا الكتابة لي.

أنا بصحة جيدة وحالة الحساسية خفيفة ولا يؤلمني غير انقطاع أخباركم هذه المدة الطويلة.

وختاماً أتمنى أن تكوني في أحسن حال وإلي أن نلتقي لك مني يا حبيبتي أحر القبلات وأعمق الأشواق.

الفريد
30/5/1962

الفريد فرج – معتقل العزب بالفيوم.

الرسالة الثالثة

ثريا العزيزة

قبلاتي وأشواقي لك. وصلني الطرد المعتاد، وفهمت منه أن خطابي الأخير وخطابي قبل الأخير لم يصلاك بعد، وكنت قد طلبت فيها بعض الطلبات، وعشمي أن يصلاك سريعاً فإني بحاجة شديدة لهذه الأشياء وللنقود، وكنت قد أخبرتك في خطابي الأخير بانتقالي للقاهرة، والمكان

هنا مريح، وقد تحسنت حالة الحساسية كثيراً ولم أعد بحاجة لأدوية الحساسية أو الفيتامينات، وإن كنت طلبت أقراص كاربنترين أرجو إبلاغ الفونس بإرسالها. كما أني بحاجة سريعة للنقود أرجو إرسال مبلغ سريع حتى لو كنت أرسلت حوالة للفيوم فإنها ستتأخر. كما أرجو إبلاغ الأهل بتغيير عنواني، فالطرود طبعاً تسلم كالمعتاد في المباحث العامة ولكنها تسلم الآن في أي وقت ولا حاجة للانتظار للشهر القادم. كما أن الخطابات والحوالات ترسل بعنوان مكتب شؤون المعتقلين بإدارة المباحث العامة - ا القاهرة.

أما أعظم ما يشغل بالي الآن فهو توقف خطاباتكم فمنذ مارس الماضي لم يصلني أي خطاب لا منكم ولا من الإسكندرية ولا من الفونس مما يسبب لي انزعاجاً شديداً، فأرجو إن كنتم قد أرسلتم خطابات منذ مارس أن تقدموا شكوى للمباحث..

إن خطاباتكم وبخاصة خطاباتك أنت يا عزيزتي أهم عندي من الطرود والحوالات التي أتسلمها بانتظام، فأرجو أن تتصرفي بحيث تصلني هذه الخطابات إما بتسجيلها أو بتسليمها باليد في المباحث .

كما أرجو إرسال الخطاب المرفق للوالد بالإسكندرية وإبلاغ أحر سلام لبابا إبراهيم وماما روما والإخوة ولك يا عزيزتي أحر تمنياتي وقبلاتي وأشواقي وكل سنة وأنت طيبة وعقبال 100 سنة.

الفريد

14/6/1962

خمس رسائل في نصف قرن(*)

الرسائل الشخصية لالفريد فرج تعكس جانباً من حياته وأفكاره وقيمه التي نطالعها في أعماله الأدبية.

وللكاتب الراحل الفريد فرج (1929-2005) ما يقرب من خمسين كتاباً صدرت على مدى نصف قرن، قرأها وإستمتع بها أجيال من القراء والمثقفين في مصر والوطن العربي.

والرسائل الخمس التي تنشر اليوم في هذا الكتاب لأول مرة عن مخطوطاتها الأصلية، تعرفنا على نموذج إنساني في الثقافة المصرية المعاصرة، كما تبين لنا ذوقه ومنهجه في الكتابة الإبداعية التي تستلهم التراث والتاريخ.

(*) مجلة «حواء»، 17 فبراير 2006.

عزيزي نبيل .

وصلتني أمس من مصر رسالتك تبشرني أنك

بقصة السلطان قلاوون وأعجبتني بعض السطور .

ما أخبار بابا وأخبار الكنترول وساعتي الامتحانات

وأخبار أهل اسكندرية عموما ..

أرجو أن تبعث لي عن رحلة ابن بطوطة

واسم كتاب ابن بطوطة المدونة فيه رحلته

وما قد يكون كتب عن الرحلة أو صاحبها حديثا

وعما إذا كانت هذه الكتب موجودة ومطبوعة

حديثا أو قديما .. الخ .

سلامي الحار لبابا ولجماعة [illegible] اسكندرية

تحياتي والسلام .

الفريد

من رسائل الفريد فرج

يعتمد هذا المنهج كما نرى في الرسائل الثلاث الأولى على جمع المراجع الأساسية الخاصة بالموضوع الذي يكتب فيه، كما حدث في مسرحيته «سليمان الحلبي» التي استلهمها من تاريخ الجبرتي، و «الزير سالم» التي استلهمها من السير الشعبية العربية.

كما تكشف الرسالة الرابعة بدرجة عالية من النضج العقلي عن

حرص الفريد فرج على التماسك الاجتماعي والأسرى، وتجنب كل خلاف ينشأ في الأسرة لأنه يهدد علاقاتها الحميمة، ويؤدي في النهاية إلى تفككها، خاصة وأن العصر الذي نعيش فيه - على حد تعبيره - عصر انهيار، يفتقد المودة والرأفة والتسامح. وهذا ما يفرض حل كل خلاف قبل أن يثور، بالصورة التي تحفظ العلاقات الاجتماعية والأسرية والأخلاقية في أفضل أشكالها، ويوثق الصلات بين الأفراد والأقرباء، كما كانت في الأزمنة الجميلة الماضية.

وتتناول الرسالة الأخيرة نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب لأعماله الكاملة التي صدرت في أوائل التسعينيات في إثنى عشر جزءاً.

وهذه هي نصوص الرسائل التي كتبها الفريد فرج بعفوية تامة، بعد حذف الفقرات المعتادة من التحيات التي لا تؤثر على مضمون الرسائل.

عزيزي نبيل

وصلني آخر بصير وكنت قرأت قصيدة البطل قبلها وأعجبتني لولا بعض التطويل. ما أخبار بابا وأخبار الكنترول ومواعيد الامتحانات وأخبار أهل إسكندرية عموماً..

أرجو أن تسأل لي عن رحلة ابن بطوطة واسم كتاب ابن بطوطة المدونة فيه رحلته وما قد يكون كتب عن الرحلة أو صاحبها حديثاً وعما إذا كانت هذه الكتب موجودة ومطبوعة حديثاً أو قديماً .. الخ.

سلامي الحار لبابا وربما حضرت إسكندرية قريبا والسلام ..

الفريد

عزيزي نبيل

تحياتي وأشواقي منذ مدة لم نسمع منك لا بالتليفون ولا بالخطابات ولا بالحضور تحقيقاً للوعود فأين أنت؟

والقصة التي اتفقنا عليها وخلافه إيه الحكاية؟ يخيل لي أن كلام القاهرة ككلام الليل زبدة سرعان ما تسيح في الإسكندرية.

ما أخبارك وما عطلك ..

أرجو سرعة الرد، كما أرجو الحضور في أقرب فرصة للنزهة والاستطلاع ولنأتنس بك ولا تتكاسل حتى في الخطابات إلى هذا الحد..

كما أني قد شرعت في كتابة «الزير سالم» وبحاجة ماسة للعديد من الكتب النادرة فأرجو أن تتكرم عليّ بالآتي:

- النظر في مكتبة البلدية ومكتبة الجامعة في تاريخ ومحل نشر أقدم طبعة لـ «الزير سالم».

- مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية السلسلة السابعة الجزء العاشر.. وبها مقال بالفرنسية بعنوان دراسات عن الفلكولور المصري.

- هجرات القبائل العربية وانتشارها الدكتور عابدين.

وطبعاً أنا لن أحتاجها كلها، ولا أحتاج الكثير منها في وقت معاً، ولكن أريد فقط معرفة ما إذا كانت موجودة وأين للرجوع إليها حسب الطلب.

وأرجو أن تستطلع الأمر على مهلك، وبالراحة وتجيبني أولاً بأول.

وفي الوقت نفسه لا تعلق مجيئك على الفراغ من هذه المهمة فهذا شيء وهذا شيء إذ أننا نريد أن نراك قريبا، والسلام .

الفريد

عزيزي نبيل

تحياتي وأشواقي، وصلني خطابك فأسرعت أتصل بك تليفونيا المرة بعد المرة لسرعة البت في الموضوع حيث معروض على الكتاب بأجزائه الأربعة بمبلغ 6 جنيهات وكل ما أخشاه أن أوقف الصفقة اعتماداً على صفقتك ثم لا أحصل عنب الشام ولا بن اليمن. ولذلك فتح عينك كويس لما يأتي:

1- أنا الآن بحاجة للأجزاء الأربعة (الكتاب الكامل).

2- الكتاب اسمه بالضبط «التاريخ المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار لمحقق زمانه ونادرة أوانه الرافل في حلل العلوم المتوشح بنفائس منطوقها .. الخ العلامة الشيخ عبدالرحمن الجبرتي الحنفي» – مطبوع «بالمطبعة العامرة الشرقية التي مركزها بشارع الخرنفش من مصر المحمية سنة 1322 هجرية» و «على نفقة حسين أفندي شرف الكتبي»، وهو من 4 أجزاء في نهاية كل جزء صيغة تفيد تمام الجزء.

3- إذا كان الكتاب بترقيعه مما وجدت من صفحات على ما عند الكتبي من أجزاء وصفحات يتم شراؤه فوراً بأجزائه الأربعة بأي مبلغ يجعله بعد التجليد الأنيق أرخص من كتاب القاهرة اشتر فوراً وادفع به لمجلِّد صناع يجلد كل جزء على حدة بسرعة بحيث يمكن إحضاره معك في العيد في الإسماعيلية.

ولكن إذا اشتريت فأرسل من فورك تلغرافاً لي بأنك اشتريت الكتاب لأوقف أنا الصفقة التي أنا بسبيلها أو اضرب لي تليفوناً بين الساعة 3

والساعة 5 من يوم السبت إذا وصلت لنتيجة قبلها أو يوم الأحد في نفس الموعد على أكثر تقدير. وإذا احتجت نقوداً أرسلها لك ولو بحوالة تلغرافية. المهم أن تفيدني بسرعة وأن تتأكد من أن الكتاب الذي ستشتريه هو الكتاب المطلوب بالضبط ومن تمام صفحاته.

وسلامي وسلام ثريا لك .

الفريد

لندن في 5 نوفمبر 1981

عزيزي نبيل

تحياتي لك وللأسرة والأبناء. أكتب لك بعد خطابك الثاني وقد تسلمت خطابيك الاثنين ولكني لم أعرف ما ينبغي أن يكون ردي عليك ولذلك تمهلت في الرد. في الحقيقة إني دائماً في دهشة منك ومن توقعاتك اليقينية من تصرفي. ولأنك متأكد تماماً من أني سأجيب طلبك ويجب عليّ أن أفعل فلعلي يجب أن أتوقع سخطك الملتهب الحارق اللاعن إذا أنا لم أفعل. وهكذا لا يصبح سلوكي اختياراً حراً وإنما نوع من الضغط المتفجر..

ولعل هذا يا نبيل سبب انشقاقك عن سائر الإخوة الذي هم عندي يتمتعون على قدم المساواة بحبي وودي، ولذلك السبب وحده لا أستطيع أن أشارك فيما تدعوني إليه من انشقاق أغضب الآخرين..

فهل تستطيع أن تفهم موقفي؟ وإن فهمته هل تستطيع أن تقدره؟ وإن قدرته هل تستطيع أن تفكر مرة أخرى في مغبة إحداث انشقاق في

الأسرة لأسباب لا تعتبر جوهرية ولدواعي غير مستندة إلى الحق والاستحقاق؟

أرجو ألا تغضب وأن تتروى وتفكر وتتأمل، فإننا نعيش عصر انهيار اجتماعي وأسرى عجيب ولا نريد أن يدفعنا العصر إلى ما لم نألف وما لا نحب.

ختاماً لك سلامي وتحيتي وأطيب التمنيات للأسرة الكريمة.

الفريد فرج

عزيزي نبيل

تحياتي وأشواقي لك وللأسرة. أسعدني نبأ نقلك إلى وزارة الثقافة وأتمنى أن تكون سعيداً بهذا النقل. كما أسعدني صدور كتبك التي أتمنى أن ترسل لي ما صدر منها وما يصدر أولاً بأول.

بخصوص نشر سلسلة الأعمال الكاملة لي وترتيبها أرجو أن تعلم أن ذلك نبأ أنت أول من أبلغتني به في خطابك، ولا علم لي بظروفه إطلاقاً - وأخمن.. مجرد تخمين - أن د. سمير سرحان قرر ربما تنشيط عقد قديم لي مع الهيئة على نشر الأعمال الكاملة، وعمر العقد حوالي عشر سنوات. وأنا لا مانع عندي من ذلك ولكن ينبغي عند تنفيذ مثل هذا العقد أن يكون لي رأي في ترتيب المسرحيات وأن أعرف إن كانت تصدر في مجلدات أم فرادى بحيث يجري تقسيم المجلدات على أساس نتفق عليه، ولذلك أرجو أن تتصل بمن يهتم بهذا الشأن وتشرح له طلبي أن يؤجل تنفيذ أي شيء لحين حضوري في أوائل نوفمبر أو حضور ثريا في أواخر

أكتوبر أي بعد حوالي شهر وهي مزودة بأفكاري حول الموضوع، وأن تنقل له رجائي بالتمهل في ذلك بضعه أسابيع والدنيا ما طارتش.

وعلى العموم شكراً لك ولكل المهتمين وللدكتور سمير ولكم مني أطيب التمنيات وإلى لقاء قريب والسلام ..

الفريد فرج

أحاديث

- التناقض الحاد بين الواقع والحلم.
- القديم والجديد في مسرحي.
- وجها لوجه.
- الزخرفة والموسيقى في مسرحياتي.

التناقض الحاد بين الواقع والحلم(*)

يعكف الكاتب المسرحي الفريد فرج هذه الأيام على كتابة سيرته الذاتية بمناسبة بلوغه السبعين من عمره.

تبدأ صفحات هذه السيرة بذكر وقائع اعتقاله سنة 1959 بعد أقل من سنة من فصله من جريدة «الجمهورية»، والتحاقه بالعمل محرراً أدبياً في دار «الهلال».

وسوف تتطرق هذه السيرة، بعد ذلك، للحديث عن حياته الأسرية في الإسكندرية، وعلاقته بأبيه وأعمامه، الذين كان منهم من يجيد العزف على العود والغناء، ومن يجيد، منهم ومن أبنائهم، قرض الشعر والكتابة الأدبية. كما تتناول السيرة مراحل تعليمه الابتدائي والثانوي والجامعي، وعمله كمدرس لغة إنجليزية لمدة ست سنين في الإسكندرية ثم في القاهرة، قبل أن ينتقل نهائياً إلى الصحافة سنة 1955، ونظمه للشعر

(*) جريدة «الأنوار»، بيروت، 18 أكتوبر 1999.

العمودي في مستهل حياته الأدبية، وتعرفه في القاهرة على أعلام الثقافة، طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ، وعلى الأجيال التالية من شباب الكُتاب والشعراء، الذين اختلط بهم، وهو يعيش في المدينة الكبيرة حياة الوحدة.

ثم يعرض لأعماله المسرحية ابتداء من «صوت مصر» (1956) وبعدها «سقوط فرعون» (1957) التي كانت سبباً في اعتقاله خمس سنوات، كتب خلالها في المعتقل، على ورق سجائر «البافرة» الشفاف، مسرحيته الذائعة «حلاق بغداد» (1964) ثم توالت مسرحياته في الستينات وأوائل السبعينات، حتى فصله من الاتحاد الاشتراكي، ومنعه من الكتابة، وخروجه من مصر سنة 1973 مع عشرات الكُتاب والمثقفين، وتنقله بين المدن والعواصم العربية والأجنبية لمدة خمس عشرة سنة، لا يعرف أهله عنه شيئاً، إلى أن عاد إلى القاهرة في أواخر الثمانينات، ليستأنف الكتابة الصحفية في مجلة «المصور» والتأليف المسرحي.

ومنذ سنوات قليلة دعي الفريد فرج للكتابة الأسبوعية في «الأهرام» مع رجاء النقاش وعبد القادر القط وأحمد عبد المعطي حجازي وفوزي فهمي وغيرهم.

وكان مع الفريد فرج، في قرار الفصل من الاتحاد الاشتراكي، توفيق الحكيم، وثروت أباظة، وأحمد عباس صالح، ومحمود السعدني، وأمير اسكندر، وغالي شكري وغيرهم.

ولاشك في أن هذه السيرة الذاتية ستجيب على كثير من الأسئلة المتصلة بحياة الفريد فرج وأدبه، ولعلها تثير من ردود الأفعال ما أثاره كتاب «أوراق العمر» للويس عوض، الذي صدر في 1990 في آخر أيامه.

وهذا الحوار يعد ثمرة من ثمار معايشتي لالفريد فرج، كفرد من أفراد أسرته، إن لم أكن أقربهم إليه، كما أنه حصيلة مناقشات طويلة ورسائل متبادلة عن الفن والحياة، فضلاً عن قراءتي لأدبه كله أكثر من مرة، فيما عدا بعض الكتابات القليلة أثناء اغترابه لم تصل لأحد في مصر.

فرق كبير

📖 تفرق بين الرقابة على النصوص، التي تمنع عرضاً مسرحياً فترة محدودة، وبين الرقابة على التاريخ التي تمنع تسجيل النصوص التي لا تصرح بها الرقابة؟

❑ نعم، هناك فرق كبير بين الرقابة الجزئية المؤقتة، التي تمنع اليوم ما يمكن أن تصرح به غداً، أو تصرح في وقت ما بما كان ممنوعاً من قبل، وبين الرقابة الأدبية المطلقة التي تنفي النصوص، بمنع تسجيلها أساساً لتئد كل إمكانية واحتمال في المستقبل لتقديمها. وبذلك تتجاوز سلطتها المرتبطة بزمان ومكان معينين، وتتحول إلى رقابة على التاريخ.

عفاريت الجبانة

📖 إلى أي مدى عانيت من هذه الرقابة في الستينات والسبعينات، وما هي السنوات التي تألق فيها مسرحك رغم هذه الرقابة؟

❑ لم يكن التلفزيون قد ظهر في مصر حين قدم لي المسرح القومي «صوت مصر» في 1956 في سهرة مع مسرحية «عفاريت الجبانة» لنعمان عاشور.

وكذلك مسرحية «سقوط فرعون» في العام التالي التي لم تستمر على المسرح غير اثنتي عشرة ليلة فقط، ولكنها أثارت عاصفة من النقد والتفسيرات هي التي أدت إلى اعتقالي، حين رأى النقاد في فرعون مصر القديم، الذي سقط بسبب سياسته الحمقاء رغم نبالة مقاصده، صورة عبدالناصر الذي كان يسمى في الغرب باسم فرعون.

أما «حلاق بغداد» فأنت تعرف انها هي المسرحية الوحيدة التي سجلها التلفزيون، وقد عرضت كثيراً في التلفزيون كاملة، أو مشاهد منها، رغم تنديدها السافر بالسلطة الغائبة، وبعدم الأمان الذي يعيش فيه الشعب المقهور.

غير أنه بعد نكسة 1967 شددت الرقاب[illegible] قبضتها على المسرح، خاصة في عهد السادات. فكانت المصادرة والمنع من الد[illegible]ة من نصيب مسرحي وقلمي، مما دفعني في السبعينات، كما تعرف، إلى الهجر[illegible] مصر.

هجرة 15 عاماً

🕮 من الواضح أنك في هذه الهجرة إزددت إطلاعاً على ثقافات العالم، واحتكاكاً بتجاربه الفنية المحدثة.

❑ دامت غربتي خمسة عشر عاماً متصلة، تنقلت فيها ما بين الجزائر، وباريس، ولندن. وزرت ألمانيا، وبغداد، وبيروت، والكويت. وكان حصيلة هذه الغربة كتابي «أضواء المسرح الغربي» الذي صدر في 1989.

مشكلة الرقابة

🕮 كيف تعاملت مع الرقابة في مختلف مراحلك الفنية؟

❑ كانت الرقابة بالنسبة لي مشكلة دائمة، ولا أستطيع أن أهون من شأنها السلبي في حياتي أو في حياة الثقافة المصرية.

ومع هذا فقد استطاع جيل الخمسينات والستينات أن يقول في مسرحياته ذات الطابع السياسي الواضح كل ما أراد أن يقوله ويقدم بشأنه شهادته، سواء بالتعبير المباشر أو بالرمز والكناية. ولم تكن كفاءة الكتاب بعد 67 أقل من كفاءتهم قبلها: نعمان عاشور، عبدالرحمن الشرقاوي، سعد الدين وهبة، يوسف إدريس، صلاح عبدالصبور، رشاد رشدي، علي أحمد باكثير، محمود دياب، ميخائيل رومان.

وقبل كل هذه الأسماء وبعدها توفيق الحكيم وأنا.

استطاع هذا الجيل أن يهدم الكثير من القيم البالية ويرسي قيماً جديدة في الحياة والإبداع، من خلال مسرح لا يبتعد عن السياسة، وإنما يخوض غمارها.

حرية النقد

📖 وإلى جانب معاناة الرقابة، كان الموقف مماثلاً من السلطة؟

❑ هذه حقيقة واضحة للعيان. أذكر وأنا أسير بجوار أحد رجال الثورة، بعدما شاهد مسرحية «حلاق بغداد»، أن التفت إليّ وقال لي: تدعم الدولة الآداب والفنون، ومع هذا فلا تسلم من الهجوم عليها. قلت على الفور: هذا بالضبط هو واجب الدولة، بمثل ما هو واجب المثقفين. أن تدعم الدولة الثقافة بكل الأساليب، من دون أن يفقد الكتاب حريتهم في النقد، لأنه، بهذه الحرية، يملكون حق تسديد خطى الدولة، وترشيد أعمالها.

نعم كان ينبغي أن نقول له إن الثقافة بدورها سلطة في يد المثقفين، ولا انقسام في الدولة بين السلطات، سواء كانت فكرية أو تنفيذية. أما بالنسبة للرقابة، ولكي لا تتضارب قرارات الرقابة والسلطة ما بين المنع المؤقت والمنع الأبدي، لابد من وقف الحرب بين الثقافة والإعلام، أو بين الإعلام والثقافة، لأن الثقافة مثل السلطة، والإعلام مؤسسة لا تقل عنها في قوتها وسيادتها، إن لم تسبقها في القدرة على تطوير المجتمع، والارتقاء بسلوكياته.

من الدار إلى النار

📖 عانيت في حياتك من الغربة، داخل الوطن وخارجه، بالاعتقال والمنفى الاختياري. كيف كنت تتعامل مع هذه الغربة؟

❑ كنت كل بضعة سنين أشعر فجأة كأني سقطت في جب عميق مظلم، أرى فيه العالم في أبشع صوره، مفتقداً للعدل والرحمة والكرامة، ولا أجد حولي من يساعدني على كشف الغمة، والخروج من هذا المأزق، لا من القضاء والمحاكم، ولا من ذوي السلطة، لأن قرارات الفصل والاعتقال لم تكن تخضع لقانون، وإنما هي قرارات عشوائية مرتجلة، يؤخذ فيها المرء من الدار إلى النار، كما حدث لي عندما قبض عليّ في مكتبي في دار الهلال، ووجدت نفسي بعد قليل في معتقل القلعة، من دون أن يستطيع أحد الطعن في هذه الإجراءات، لا في حينها ولا بعد ذلك. وكثيراً ما كانت هذه القرارات التي تطيح بأمن المواطنين تعتمد على كتبة التقارير، وهم عادة من حثالة البشر، لأن من يتمتع بالخلق لا يقبل أن يمارس مثل هذه الوشايات بزملائه وجيرانه.

ويماثل كتبة التقارير في السوء أبواق السلاطين وأصحاب النفوذ في أجنحة السلطة، الذين يلوثون البيئة بعقائرهم العالية، وأولئك الذين

يضيعون أعمارهم في كتابات كاذبة، تطمح في الحصول على مكانة مرموقة أو حياة مرفهة.

ولا أدل على صحة كل ما أقوله لك، وإن كنت أنت بالذات لست بحاجة إلى دليل، أنني عندما رفعت دعوى طعن في كل ما حدث لي، كسبت القضية، وحصلت على تعويض قيمته تسعة آلاف جنيه، وهو مبلغ ضئيل، وتعويض بخس، لا يساوي يوماً واحداً من مهانة وفقدان الحرية، ولا تمحو آثارها كنوز العالم، ولكني قبلته من أجل أن أعوض جزءاً ضئيلاً جداً مما فقدت في حياتي، وهذا يدفعني إلى عتاب كل الأدباء والأصدقاء والمثقفين الذين شاهدوا هذه الأحداث المجانية الجسيمة، ولم ينطق أحد منهم بكلمة واحدة.

وقد صورت في رواية «أيام وليالي السندباد» نفسي في هذا الموقف الصعب، كما ستجد لحظات ومواقف كثيرة من حياتي في أعمالي المسرحية والقصصية التي تتطلع إلى أن تكون مؤثرة في المجتمع، على مستوى جميع العصور.

بل إن الشخصيات التي أقدمها في هذا الإنتاج الأدبي، مثل «أبو الفضول» و «سليمان الحلبي» و «التبريزي» وغيرهم، ليست بعيدة في طباعها عن شخصيتي وطباعي، إن لم تتطابق معها، كما تتمثل نفوس الأدباء في أدبهم ببساطتها وتعقيدها، وبسطحها الظاهر وأعماقها الخفية.

ولا تقتصر هذه الصورة الشخصية على رواية السندباد أو المسرحيات، وإنما يمكن أن تطالعها أيضاً في مجموعة القصص القصيرة التي صدرت لي في 1968. واستقيت بعضها من مراحل حياتي في التعليم، كتلميذ وكمدرس.

العلاقة بتوفيق الحكيم

📖 لا يستطيع المتحدث معك أن يتجاهل علاقتك بتوفيق الحكيم الذي يرى النقاد أنك الامتداد الطبيعي له، ويعتبرونك خليفته، ولو أني أرى أن إرتباط مسرحك بالمجتمع وقضايا العصر أقوى من ارتباط مسرح الحكيم بها.

ومع هذا فلم تكن كتاباتك كلها تحمل التقدير لهذا الكاتب. أذكر هجومك المبكر في 1957 على مسرحيته «إيزيس». فهل يرجع هذا الهجوم إلى أنك كنت في الوقت نفسه تكتب مسرحية شعرية عن هذه القصة الفرعونية القديمة؟!

❑ حين عرضت الفرقة المصرية الحديثة في دار الأوبرا مسرحية توفيق الحكيم «إيزيس» كنت بالفعل غارقاً في الكتب والمراجع التي تتناول إيزيس وأوزوريس، لأضع مسرحية شعرية عنها هي التي سبقت «سقوط فرعون».

ولهذا توقعت تحت تأثير المخزون المعرفي الذي حصلته أن أشاهد على المسرح نصاً ثريا بالحياة الإنسانية وبالحركة الفكرية ثراء الأسطورة الخالدة. غير أني لم أجد في المسرحية غير مناقشات جافة عن قضايا الخير والشر والحكم، لا تفصح عن شخصيات أسطورية جليلة من لحم ودم، ولا ترتفع بالعلاقات المتعددة للشخصيات إلى ما ترمز إليه من فكر الحكيم المثالي، بل تهبط بها إلى الواقع البسيط المجرد من أجواء الأسطورة، ومن قيم الإبداع وغلالاته المتماوجة.

لذلك لم أستطع أن أمنع قلمي من الكتابة، مهما كان حبي للحكيم، بخاصة وإن وصول حوريس ابن إيزيس وأوزوريس إلى الحكم، في

رؤية توفيق الحكيم، تحقق بأسلوب غير شريف، بالحيلة، وأنا مع الكُتاب الذين يؤمنون بالتوازن بين القوة والفضيلة، وبعدم التناقض بين الوسائل والغايات، ويروْن أن التمسك بشرف المقصد يفرض التمسك بشرف الممارسة وشرف السلوك.

وزاد الأمور سوءاً أن المخرج نبيل الألفي حاول أن يضفي الأجواء الأسطورية على نص لا يعبأ بها، فحدث ما يشبه الشرخ بين النص والعرض، أو بين المضمون والصورة.

ولأن الحكيم لم يكن يحب أن يتعرض لأي انتقاص من أحد، طلب وقف المسرحية، وهدد بأن يلجأ إلى القضاء لمنع عرضها. ولم أتمكن من استرضائه إلا بمجهود شاق.

التناقض بين الواقع والحلم

📖 لكل كاتب محاوره الأساسية التي يتحرك أدبه عليها، أو يدور في فلكها. فهل لك أن تضع يدنا على المحور الكلي في مسرحك؟

❑ تستطيع أن تقول: إن هذا المحور الذي يشمل أعمالي كلها هو التناقض الحاد بين الواقع والحلم. ولو أردت تطبيقاً عملياً على هذا الكلام، فإني أقول أن اخناتون أو أمنحتب الرابع في مسرحية «سقوط فرعون» كان ملكاً وشاعراً، يريد عالماً موحداً، ينهض على العدل والحرية والسلام. إلا أن واقعه فرض عليه أن يقاوم أعداءه، وبذلك حدث التناقض بين الأهداف السامية والسلوك الفعلي، بين الحلم والواقع.

الرؤية الجادة

📖 **يرتبط اسمك في المسرح المصري بالتراث والتاريخ. فكيف تتعامل معهما؟ وما مدى التزامك بما جاء في التراث، أو بما جرى في التاريخ؟**

◻ لست كاتباً تاريخياً، كما أني لا أعيد صياغة التراث القديم. والتراث أو التاريخ في مسرحي لا يعدو أن يكون إطاراً ولا يتجاوز من الزمن لحظة أو عدة لحظات. أما النسيج والبناء والمحتوى كله فهو جهدي الخاص المخالف، وإبداعي الفني الحديث الذي يبتعد ويتغرب لكي يحسن الرؤية، ويتقبل الإلهام المعبر عن قضايا العصر القومية والإنسانية.

ولعلي لست بحاجة إلى القول أن الرؤية لكي تكون صحيحة ونافذة في تشكيل الذوق العام، لابد أن تكون رؤية عقلية جادة، تلبي الحاجات الأساسية للشعب، كما يجب أن تكون رؤية حضارية جمالية، تؤمن بالمجتمع المدني، والتجديد، والتحديث.

التعلق بالتجريب

📖 **طالما أننا تحدثنا عن المحاور الفكرية فلنتحدث عن اتجاهك الفني في الكتابة؟**

◻ لو راجعت إنتاجي ستجد أنني متعلق بالتجريب، ولا أكرر تجاربي مهما حققت من نجاح.

ما كان أيسر على أن أعود بعد «سقوط فرعون» إلى التاريخ الفرعوني، محملاً برصيد المعركة التي أثارتها، والمجد الذي صنعته.

وكذلك ما كان أيسر أن أكرر فتوحات «رسائل قاضي أشبيلية» و

«النار والزيتون» و «سليمان الحلبي» و «الزير سالم» بالعودة إلى تاريخ الأندلس، وقضية فلسطين، والحملة الفرنسية على مصر والتراث العربي في أدبه وسيره وملاحمه الشعبية، ولكنني لم أفعل شيئاً من هذا، وتمسكت بمبدأ المغامرة، وأرجو أن يقتدي بي كل الكتاب والفنانين في وطننا العربي.

وسيخطئ النقاد في حقي خطأ فادحاً إذا حاولوا تصنيف مسرحي كما يصنفون مسرح الحكيم. وأرجو ألا يخدعهم التشابه في بعض النصوص، لأنها تحمل معنى التكامل، لا معنى التكرار.

هكذا أكتب

🕮 **كيف تؤلف مسرحياتك؟**

❑ تستغرق كتابة المسرحية عادة من سنة إلى سنتين. وقبل أن أمسك القلم لأكتب، أقرأ الكثير من الكتب والمراجع المتصلة بالموضوع.

وعلى سبيل المثال أذكر أنه عندما بدأت في الإعداد لكتابة مسرحية «سليمان الحلبي» أنك ساعدتني وأنت في الإسكندرية في توفير كتاب تاريخ الجبرتي في طبعته الأولى النادرة من المكتبة الحجازية. كما أنك أعرتني كتاب محمد شفيق غربال «بداية المسألة المصرية وظهور محمد علي»، الذي صدر بالإنجليزية في 1928 متضمناً مقدمة للمؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي. ولا يزال كتاب الجبرتي وكتاب شفيق غربال في مكتبتي، لم أردها إليك.

وإذا بدأت في الكتابة فإني أكتب أولاً المشاهد المحورية، وتمثل المونولوجات قمة هذه المشاهد.

وفي الماضي البعيد كنت أكثر من الإرشادات المسرحية. ولم ألبث أن رأيت أنها تحد من انطلاق المخرج أو تقيد من حركته وتقلل حريته. ووجدت من المخرجين من يحذف هذه الإرشادات من نسخته ونسخ الممثلين، فأخذت أقلل منها، رغم خوفي مما يمكن أن يترتب على هذه الحرية، إن لم يكن المخرج على مستوى العمل الذي يقدمه.

القديم والحديث في مسرحي(*)

هذا حديث قديم أجريته مع أخي الفريد فرج منذ نحو عشرين سنة، ثم أرجأت نشره سنه بعد سنة، لأني رأيت أنه قد لا يكون مستحباً أن أنشر حواراً مع أخي، وبلادنا زاخرة بالكتاب، وأنه من الأفضل أن أدع هذه المهمة للكتاب والصحفيين الآخرين، الذين - والحق يقال - احتفلوا بالفريد وأدبه في مصر وبعض الأقطار العربية، مثل سوريا والعراق والكويت والجزائر، بصورة جعلتني أصرف النظر نهائياً عن المشاركة في هذا الاحتفال.

ومع هذا كان هناك من زملاء القلم والمثقفين من يرى أنني ربما أكون، بحكم هذه الصلة نفسها، أجدر من غيري في إجراء مثل هذا الحوار، وأن العامل السلبي الذي دفعني لاتخاذ هذا القرار، قد يكون عاملاً إيجابياً لإجراء الحوار، خاصة بعد أن تساقط أكثر أفراد هذا الجيل الذي ينتمي إليه الفريد، بالموت أو بتنكب الطرق أو بالتوقف، وانحسرت

(*) مجلة «أدب ونقد»، القاهرة، مارس 1991.

الأضواء، منذ منتصف السبعينيات، عن المسرح المصري الذي أراد كتابه إعادة صياغة المجتمع بشكل أكثر عصرية، واستنارة، وإنسانية.

وتحت تأثير الظروف التي أخذت تجتاح حياتنا الثقافية، وانهيار كل القيم، وجدت نفسي أتذكر هذا الحوار، فنفضت الغبار عن أوراقه، وأعدت قراءته، وتبين لي أنه لا يزال يمثل، في جوهره، الأفكار الأساسية التي عبر عنها الفريد فرج في كتاباته الأدبية، وفي أعماله المسرحية التي تستحق أن تنشر وتقرأ.

ورأيت أيضاً أن هذا الحوار القديم يمكن أن يساعد من يريد أن يعرف ما إذا كانت الأفكار التي طرحها الفريد فرج سنة 1970 قد تطورت عبر هذه السنوات، أم ظلت ثابتة، لا تجد ما يرفدها بالمياه الجارية ، خاصة وأن الفريد وقت إجراء الحوار - كان قد قدم معظم انتاجه الذي حقق له هذه الشهرة العريضة، وأعني به: «سقوط فرعون» (1957)، «حلاق بغداد» (1964)، «سليمان الحلبي» (1965)، «الزير سالم» (1967)، «النار والزيتون» (1970).

ومن الواضح أن هذه المسرحيات وغيرها تنتمي إلى المسرح الحديث أكثر من انتمائها إلى المسرح الكلاسيكي. والفريد فرج يعرف عنه تحديه للمعلم الأول أرسطو إن اعترضت نظريته المتعارف عليها في التاريخ تطور فن المسرح، أوحدت من إمكانية تفجير ملكات الإبداع.

ولم يكن الكاتب يتردد في شجب النظرية على الملأ، أو في الدعوة للخروج أو الثورة عليها، وطرح قيم ورؤى جديدة تكون أكثر تعبيراً عن المجتمع في صراعه الداخلي والخارجي، وأقدر على الارتباط والوعي بالعصر في حركته ونقط اختلاله وتطلعاته.

ولابد لي في النهاية أن أشير إلى أني لم أنظر إلى أخي الفريد يوماً إلا على أساس الدور والمبادئ والمعاني الموضوعية التي يمثلها مع مجموعة الكُتاب والمثقفين التقدميين في مصر والعالم العربي، الذين ينتمون إلى تراثهم وإلى الإنسانية في آن واحد، إلى القومية والعالمية معاً، ويجدون في العدل الاجتماعي والحرية والعقلانية والتحديث قيماً أساسية يجب أن تكون متوفرة في الإبداع المرتبط بالحياة والتقدم والازدهار.

📖 ما هي الأفكار الأساسية التي تدور حولها أعمالك المسرحية، على مستوى الرؤية أو المضمون؟

❑ أظن أن القضية الأساسية التي تدور عليها معظم مسرحياتي هي قضية العدل، وقد ساءلت نفسي دائماً: ما الذي يجعل هذه القضية تلح على مسرحي هذا الإلحاح؟ ولا أستطيع أن أفصل بين إلحاح هذه الفكرة علي، وبين سخونة قضية العدل على كل مستوياتها في عصرنا وعالمنا.

فنحن نواجه هنا والآن تراكمات ظالمة تتحدانا .. نحن الشعوب التي تتملص من روابط الإقطاع، ولا تقنع إلا بروابط اشتراكية وعصرية متمدينة. ونحن الشعوب التي طال نهبها وإفقارها لحساب ملوك المال في الغرب، لن نقنع إلا باسترداد ثروتها وفرصتها المتكافئة في استثمار بلادها.

نحن الدول التي تواجه تحديات قوية، وتريد مع ذلك أن تحافظ على حقوقها كاملة، إزاء قوى طامعة مجرمة.

📖 ما حجم هذه القضية، أو مدى حضورها بالنسبة للآداب العالمية؟

❑ أظن أن فكرة العدل على مستوياتها المختلفة قد لا تكون من هموم أوروبا القوية بقدر ما هي من هموم الشرق الآسيوي والإفريقي الذي

يدرك المعنى الكامل للعدل، ويدرك المعنى الكامل للحق، ولا يملك حقه الكامل، أو عدله الكامل، حتى اليوم.

📖 دعنا نطبق هذه الرؤية على النصوص المسرحية نفسها.

❑ بينما تدور مسرحية «سقوط فرعون» حول التناقض بين العدل الإنساني والعدل السياسي، تدور «حلاق بغداد» حول العدل الاجتماعي، و «سليمان الحلبي» حول التناقض بين التقييم الأخلاقي والتقييم السياسي لفعل عادل.

كما تدور «الزير سالم» حول قضية العدل الميتافيزيقي المستحيل التطبيق، قضية الإنسان في مواجهة كون ظالم، وفي مواجهة فعل ظالم لا يمكن الرجوع عنه.

كما تعرض «عسكر وحرامية» قضية تحقيق العدل الأخلاقي عن طريق الفعل السياسي.

أما «علي جناح التبريزي وتابعه قفة» فتبسط قضية العدل الاجتماعي من خلال التناقض بين الرؤية الإنسانية الشاملة والواقع الصلب.

📖 هذا عن المضمون، ماذا عن الشكل الذي لا ينفصل عنه؟

❑ أنزع في مسرحياتي نحو تحرير الشكل المسرحي. ومع أني أعتقد أن مسرحي ينتمي على نحو ما وحتى اليوم للتقاليد الكلاسيكية بعامة، فإنني ألتمس رغم ذلك كل أو الكثير من رخص المسرح الحديث.

📖 أعتقد أن الجمع بين الكلاسيكية والحداثة يدخلنا في إشكالية أشبه بمركب الموضوع.

❑ أنا لا أعتذر عن هذا أو ذاك، ولكني أعتقد أن المسرح العربي يبحث عن شكله الخاص، أو على الأقل عن طابعة ومزاجه الخاص في الشكل. وأعتقد أن مسرحنا العربي يختلف في معظمه عن المسرح الأوروبي في المضمون، وأن فرصتنا ضيقة جداً في الاختلاف عن المسرح الأوروبي في الشكل.

ولعل هذا من الصعوبات الخاصة التي يعانيها مسرحنا الحديث حيث إنني أعتقد اعتقاداً راسخاً بارتباط الشكل والمضمون.

📖 ما دمت تشير إلى الاختلاف بين مسرحنا والمسرح الأوروبي، فهل يمكن أن تطرح هذه القضية في أبعادها الكاملة؟

❑ أعتقد أن المسرح العربي يختلف ويحسن أن يختلف عن المسرح الأوروبي. إننا نعيش في عالم يختلف عن العالم الذي حتمت ظروفه وجود مركز أوروبي واحد للإشعاع الثقافي.

في القرن التاسع عشر كانت أوروبا هي المنارة الوحيدة في العالم ثقافيا ودستوريا وتكنولوجيا. وكانت كل خطوط المواصلات - بالمعنى الحرفي وبالمعنى المجازي - تنطلق من أو إلى أوروبا.

وكانت أوروبا بناء على ذلك هي المركز الوحيد للتوجيه السياسي. وكانت شعوب العالم الصغيرة التي تتطلع للمستقبل تتجه بأنظارها إلى أوروبا.

📖 هذا عن الماضي. ماذا عن الحاضر؟

❑ نحن نعيش اليوم في عالم مختلف. عالم يسمح فيه بالتوازن. فمن

الناحية الثقافية شعر المثقف الأوروبي بمسيس الحاجة للاتصال بالثقافات والحضارات المتنوعة في هذا العالم، حتى لقد تأثر تأثراً اختياريا بالفن التشكيلي الإفريقي، وبالإيقاع الموسيقي الإفريقي، وبالأشكال المسرحية الصينية واليابانية الآسيوية، وبالفن الفرعوني .. كما هو معروف.

ومن الناحية السياسية أتاح التناقض المتوازن في هذا العالم لشعوب كثيرة أن تبرز إلى مواقع التأثير السياسي، ومن ثم التوجيه الفكري في المجال العالمي.

📖 في ضوء هذه المتغيرات الجذرية في عالمنا - كيف تنظر إلى حضارة هذا العصر؟

❑ إن حضارة هذا العصر لم تعد حضارة الاتجاه الواحد، وإنما أصبحت حضارة الحوار الواسع بين أجزاء العالم المختلفة.

وهذا يلقي على ثقافتنا العربية وفننا العربي ومسرحنا العربي مسئولية أكبر من تلك التي كانت تتصورها أجيال الماضي. هذا يتطلب من ثقافتنا العربية أن تعيش قضايا العالم كما تعيش قضاياها. أن تسعى لاكتشاف العلاقات المتجددة بين ثقافتنا وبين الثقافات المتنوعة في العالم.

📖 وأين يقف المسرح العربي في إطار هذه العلاقات المتجددة؟

❑ المسرح العربي الذي بدأ منذ مائة سنة باقتباس تقاليد المسرح الفرنسي خاصة والأوروبي عامة ليخاطب جمهوراً من العارفين بالثقافة الأوروبية والمعجبين بها، يجد نفسه اليوم في ملتقى تيارات ثقافية متباينة المصادر والأهداف، منتظراً منه أن يقول كلمته المختلفة، ومع ذلك المنسجمة مع واقع العصر وأماني الإنسان والمكملة للصورة العامة لثقافة العالم.

وجهاً لوجه(*)

بدأ الفريد فرج حياته الأدبية في الصحافة في السنوات الأولى من الخمسينيات، ولكنه لم يصبح كاتباً معروفاً ورمزاً من رموز الأدب الجديد إلا عندما قدم له المسرح القومي مسرحية «سقوط فرعون» سنة 1957. ومنذ هذا التاريخ وحتى 1973 قدم الفريد فرج للمسرح عدداً كبيراً من المسرحيات المستلهمة من التاريخ والتراث من خلال رؤية معاصرة وتقنيات حديثة، لعل أشهرها «حلاق بغداد» 1964، «سليمان الحلبي» 1965، «الزير سالم» 1967، «على جناح التبريزي وتابعه قفة» 1969. كما قدم المسرحية الاجتماعية والسياسية في «عسكر وحرامية» 1966، «النار والزيتون» 1970، «زواج على ورقة طلاق» 1973. وأغلب هذه المسرحيات عرضت في الأقطار العربية، ومنها ما عرض في بعض العواصم الأوروبية مثل روما، وارسو، برلين. وإلى جانب هذا الإنتاج الذي يعد من كلاسيكيات المسرح المصري، كتب الفريد فرج القصة

(*) مجلة «العربي»، مارس 1993.

القصيرة، وصدرت له في 1968 مجموعة قصص قصيرة. وفي الرواية صدرت له «حكايات الزمن الضائع في قرية مصرية» 1977 و «أيام وليالي السندباد» 1988.

ولألفريد فرج أيضاً عدد في الدراسات الأدبية والمسرحية، نشرت كمقالات في الصحف والمجلات، تعبر عن مجمل أفكاره وتصوراته للمشكلات الكبرى في الحياة والفن، تكشف صفحاتها، كما تكشف تجلياته الإبداعية، عن سعة إطلاعه في الثقافة الإنسانية القديمة والحديثة، وعن ارتفاع حاسته النقدية، وعمق تجربته.

وكان ألفريد فرج قد خرج من مصر في 1973، حين فصل من الاتحاد الاشتراكي، مع عشرات الكُتاب والصحفيين الذين وقعوا بأسمائهم على بيان توفيق الحكيم الشهير لدفع الدولة إلى خوض الحرب ضد إسرائيل. ثم لم يكن سهلاً على ألفريد فرج، حتى عند إلغاء قرار الفصل بعد شهور من صدوره، أن يعود إلى بلاده. فالحركة الثقافية التي ساهم في رسم اتجاهها ركدت وتقوضت أبنيتها في السياسات التالية للدولة، ورحل معظم كتاب جيله أو غاضت مواهبهم. ولهذا يجد ألفريد فرج نفسه الآن، وهو يتقدم نحو الخامسة والستين، غريباً في وطنه، مثلما هو غريب خارج وطنه، بلا دور، وبلا صحبة أحد، وبلا رجاء.

ومع هذا فقد ظل ألفريد فرج طوال غربته محتفظاً بصوته الأصيل، ولم يتوقف عن الكتابة أو التفكير يوماً واحداً.

تأثيرات الغربة

📖 لا يستطيع المتحدث معك إذا أراد أن يقدم لك صورة دقيقة للجيل الجديد من القراء الذي لم يعاصر إزدهارك الفني، أن يتجاهل غربتك الطويلة التي امتدت من 1973 إلى 1988، ثم إلى ما بعدها، فما هي تأثيراتها على أدبك، وماذا تركت في نفسك؟

❑ أتاحت لي الغربة أن أرى الظاهرة من خارجها، وهي فرصة نادرة. والعجيب أنني لم أجد في نفسي أبداً ميلاً للتأقلم في أوروبا برغم إجادتي للغتين الإنجليزية والفرنسية، وبرغم معرفتي الواسعة بآداب وفنون الغرب.

الفائدة الثانية التي أفادتني بها هذه الغربة هي أني أصبحت أنظر للدنيا في بلادنا نظرة مقارنة، وهي نظرة ذات نفع إذا استطعت أن أعبر عنها للقراء، حيث إننا لا نزال نستخدم إلى اليوم الصفات استخداماً غير دقيق لأنه استخدام غير مقارن، واستخدام بغير قياس.

فإنك حينما تصف الشيء بالطول أو بالقصر، بالقبح أو بالجمال، بالأهمية أو بعدم الأهمية، إنما تنسب إليه هذه الصفات بالمقارنة إلى شيء آخر، أو إلى نموذج آخر، أو إلى مقياس نموذج يتعارف عليه الناس، فكل الصفات قياسات مقارنة.

ونحن نقيس الأدب أحياناً إلى التراث خصوصاً في باب الشعر أو الفقه أو البلاغة. ونقيس أيضاً الأدب العربي قياسات مقارنة بالأدب الغربي، خصوصاً في باب القصة والمسرح. كما نقيس الفيلم السينمائي بأفلام هوليود أو بالأفلام الإيطالية. وهكذا.

العقل الإنساني عقل مقارن، ولذلك فالذي قد سافر في البلاد مثلي، وأقام في بلاد أجنبية مثلي، يسهل عليه إقامة القياسات المقارنة في الفن والأدب.

ولعل هذا أيضاً من فوائد الغربة، ولم أتحدث عن آلامي وتباريح الشعور بالاغتراب أو بالعزلة، فهذا شيء يعرفه الكل.

تجاوز الزمان والمكان

📖 ما هي في تصورك الأطروحة التي يقدمها مسرحك، وترى أنها يمكن أن تتجاوز الزمن، مع ارتباطها بالطبع بالظرف المكاني والتاريخي؟

❑ من الصعب تحديد ما يبقى من أدب أي مؤلف على مدى الزمان. وكثير من المؤلفين تزدهر آدابهم عصوراً وتغيب عصوراً، حسب حركة المجتمع واحتياجاته. ولكنني أستطيع أن أقول لك عن مسرحياتي وعن الروايتين اللتين كتبتهما إن هذه الأعمال الأدبية تحتوي عناصر أرشحها للبقاء.

أولاً، دراسة الشخصية وتحليلها، وتوصيف جوهرها الإنساني الصرف الذي لا يتعلق بالزمان وبالمكان. فمثلاً فضول «أبو الفضول» في «حلاق بغداد» وتدخله لإصلاح الدنيا وهو الفقير الأعزل المجرد من كل سلاح ومن كل قوة، والذي لا يملك إلا رغبته في أن تستقيم الدنيا. هذا أعتبره كشفاً أدبياً وإنسانياً، حيث إن هذه الشخصية تضع الفضول في الإنسان في مستوى الطبيعة اللاصقة بالشخصية الإنسانية، وفي مستوى الغريزة الإنسانية، وإن تدفق هذه الصفة على المسرح يملأ قلوب المتفرجين بالفرح

ويبشرهم بالعدل العميم، وهي سر المرح الذي تشيعه المسرحية في جمهور المشاهدين، ويظنه صاحب النظرة السطحية أنه مرح سببه ما في المسرحية من فكاهة.

ويمكنك تحليل عدد معتبر من شخصيات مسرحياتي ومن شخصيات الروايتين اللتين كتبتهما بالمنهج نفسه، وستجد أن في هذه الأعمال، وفي هذه الشخصيات، كشفاً إنسانياً يرشح هذه الأعمال للبقاء مراحل زمنية مقبلة.

الناحية الأخرى التي تتميز بها هذه الأعمال وترشحها للبقاء، هي الأطروحة الفلسفية المجردة، مثل المقابلة بين العدل الطبيعي والعدل الاجتماعي والعدل الرياضي في «سليمان الحلبي» و «الزير سالم»، وطبيعة العلاقة الساحرة والسحرية بين الوهم والحقيقة، بين الحقيقة الفلسفية والحقيقة الواقعية، بين إصلاح الواقع من مساحة الوهم، وعجز العقل عن تجاوز الحواس والظواهر الحسية، وذلك في «على جناح التبريزي وتابعه قفة»

أرجوك استخدام المنهج نفسه في اجتياب هذه الأعمال المسرحية والروائية للكشف عن جواهرها الفكرية والفلسفية.

المسرح والثقافة العربية

📖 ما هي في تقديرك عناصر الثورة الفنية التي أحدثها مسرحك في الثقافة العربية؟

❑ أول من نبهني إلى أهمية أسلوبي في المسرح هو توفيق الحكيم. والفنان يكتب بطريقة عفوية، ولا يعمد إلى تحقيق مواصفات مسرحية

أدبية معينة، ولكن توفيق الحكيم هو أول من نبهني إلى أنني زواجت بين الفكر والفرجة، بين عناصر المسرح الرفيع وعناصر المسرح الشعبي. وبذلك أكون قد وضعت اللمسة الأخيرة في ثورة بدأها توفيق الحكيم نفسه، وبدأها من جانب آخر أحمد شوقي في مسرحياته. وهذه اللمسة جعلت من الممكن أن يستمتع بـ «حلاق بغداد» و «الزير سالم» و «التبريزي» وغيرها جمهور واسع من المشاهدين، وأن تضرب «عسكر وحرامية» و «جواز على ورقة طلاق» أرقاماً قياسية في دخل الشباك مع ما فيها جميعاً من قيمة فكرية عميقة ورصينة.

هذه هي عناصر الثورة الفنية التي ساهمت في تحقيقها على المسرح.

المدينة الفاضلة

🕮 لكل كاتب وفنان، كما أن لكل فيلسوف، مدينة فاضلة تنهض على قيم معينة، فما هو جوهر هذه المدينة الفاضلة التي يعبر عنها أدبك؟

❑ المدينة الفاضلة في نظري هي السعادة. وعندي إيمان بأن الإنسان لا ينشد المال أو النجاح أو الشهرة أو الراحة، بل ينشد السعادة أولاً. والسعادة تتحقق بتوازن الشخصية الفردية وتوازن الشخصية الاجتماعية في أي مجتمع. توازن الشخصية الفردية يتحقق بتوازن الآمال مع القدرة على الإنجاز، مثل التلميذ الذي يتمنى النجاح والتفوق، ويستطيع أن يحقق ذلك بالجهد المعقول. وهكذا في جميع الآمال والأماني والأحلام التي ينشدها الناس.

التوازن الاجتماعي يتحقق بفاعلية القوانين العادلة، وتقارب القدرات

والمساواة والحرية وتكافؤ الفرص، وكل هذه العناصر التي تؤسس المناخ المتحضر والمتمدن والراقي لأية أمة.

ولكن التوازن الفردي والتوازن الاجتماعي ليس هما حال البشر في كل زمان ومكان، ومن ثم فإن الدراما الإنسانية سواء كانت دراما مأساوية أو دراما فكاهية تستنبط المفارقات في حياة المجتمع أو في حياة الفرد. إلا أن هذه الدرامات كلها إنما تصور الحياة خارج المعادلة المتوازنة لتؤكد بها ضرورة توازن هذه المعادلة، وتوضح عناصر التوازن الضرورية للمعادلة في المدينة الفاضلة.

الأدب والحياة

📖 ورد في بعض كتاباتك رأي يستحق أن نقف عنده بالعرض والمناقشة، وهو أن الأدب أصبح هو المؤثر في الحياة، لا المتأثر بالحياة. وهذا يعني أنك تريد للأدب والفن أن يكونا مادة للحياة نفسها وللإنسان، تتفوق على ما نعيشه، لا أن تكون الحياة والإنسان مادة للأدب والفن.

❑ لا أقصد هنا بالأدب مجرد القصيدة أو القصة المطبوعة، بل أقصد الأدب في وسائلة الذائعة والواسعة الانتشار ابتداء من الكتاب إلى فيلم السينما والعرض المسرحي الذي يظل سنوات طويلة فوق المسرح، والمسلسل التليفزيوني الطويل، والفيديو كاسيت المتداول على نطاق واسع، والأغنية المسجلة أو المصورة، وما إلى ذلك.

حتى منتصف القرن العشرين أو نحو ذلك كان الأدب هو متعة الندرة والصفوة والقلة، حتى الراديو لم يكن منتشراً في زمانه انتشار التليفزيون اليوم، ولا كان عدد المسارح في المدن الكبرى كما هو اليوم.

لم يكن الإنسان يستمد من الفنون إلا قدراً ضئيلاً من تربيته الفكرية والوجدانية والسلوكية، ومعظم هذا التأثر كان يتم بطريق غير مباشر، أي أنه كان يتم بتأثير الصفوة وتقليد العامة للصفوة.

وفي ذلك الزمان كان يقال في كتب النقد الأدبي والنقد الفني إن رسالة الفن هي محاكاة المجتمع أو محاكاة الناس، أو تصوير الناس. الآن انعكس هذا الوضع، وصار الفن أكبر مؤثر في التربية الإنسانية والاجتماعية، وفي ترتيب سلم القيم عند الإنسان البسيط أكثر مما تفعل المدرسة أو الأسرة أو البيئة الاجتماعية المباشرة.

صار الفن هو المصدر الأساسي للمعلومات، للسلوكيات العقلية والوجدانية والاجتماعية، لفهم الحياة. أصبح الفن هو المعلم الأول للإنسان يتعلم منه أسلوب الاختيار، من اختيار الزوجة إلى اختيار المهنة إلى الاختيار بين السفر والإقامة، إلى آخر هذه الاختيارات التي يواجهها الإنسان في كل لحظة والتي يتعلم منهجها لا في المدرسة ولا في الأسرة ولا في البيئة الاجتماعية المباشرة بقدر ما يتعلمها في الفيلم والمسرح وفي التليفزيون وفي الفيديو كاسيت وفي الأغنية.

أصبح للفن قدرة طاغية على إعادة صياغة الناس سلباً وإيجاباً. أصبح الناس في نظري يحاكون الفن، وهذا يضع الفن في قمة المسئولية الاجتماعية، ويجعل له خطراً كبيراً، لابد أن يدفعنا في الحاضر والمستقبل إلى الاهتمام الكبير جداً بتكوين الفنان، لا بتكوينه المهني فقط كما يحدث في بلادنا، بل بتكوينه الفلسفي والاجتماعي والثقافي على أعلى مستوى.

هذه من أهم المشاريع الاجتماعية للحاضر والمستقبل القريب والمباشر، وإلا فإننا سنتعرض كمجتمع إلى أمراض كثيرة.

الزخرفة والموسيقى في مسرحياتي[*]

يأخذ الفريد فرج موقعه ككاتب من كُتاب الصف الأول في المسرح المصري منذ قدّم مسرحية «سقوط فرعون» سنة 1957، وعبر أعماله التالية المستلهمة من التراث والتاريخ: «حلاق بغداد» 1964، «سليمان الحلبي» 1966، «الزير سالم» 1976، «على جناح التبريزي وتابعه قفة» 1969، «النار والزيتون» 1970، وغيرها من الأعمال التي تُعد، بما حملته من أفكار عصرية، من ذخائر المسرح المصري.

وخلال هذه الرحلة الفنية الممتدة في الزمان والمكان، عُرضت مسرحياته في القاهرة والأقاليم المصرية، وفي كل الأقطار العربية، وبعض الدول الأوروبية.

ويعدّ التنوع الشديد في مسرح الفريد فرج، الذي يجمع بين الفكر والفرجة، من عوامل إقبال الفنانين والجمهور العريض عليه، والاستمتاع

(*) مجلة «الآداب»، بيروت، يوليه - أغسطس 1995.

بما يتضمنه هذا المسرح، المعبّر عن الوجدان العام، من قيم عقلية وجمالية، عربية وإنسانية، ترتبط بالصراع الاجتماعي والسياسي من أجل العدل، والحرية، والتحديث.

ومع هذا ففي هذا المسرح، كما في كتابات ألفريد فرج الأخرى، الكثير من شخصيته وسيرته التي يعبّر عنها بجلاء، مثلما يعبر بجلاء عن العصر الذي ينتمي إليه ويرتبط به.

إن الفضول والدهشة والشوق إلى المعرفة وحب الأسفار والمغامرة، والشعور العميق بالوحشة والانفعالات المتضاربة والعواطف الجياشة التي تتميز بها شخصياته المسرحية (والقصصية والروائية)، تعكس في وقت واحد جانباً كبيراً من صفاته النفسية. كما تعكس حياته القلقة المغتربة، التي تقلبت بين السعادة الخاطفة والشقاء الطويل، وتداولها اليأس والأمل في عالم مختل بالغ المرارة، ينتشر فيه الفساد، ويفيض بالمفارقات الساخرة، يبحث فيه الكاتب عن النظام والاتساق في الفوضي والتميز، وعن المنطق في اللامعقول والعبث، وعن الوحدة والوفرة والكرامة في التناقض والتشتت والعناء، وعن ميزان الحق في الإدعاءات الباطلة .. إلى آخر الثنائيات الجدلية بين الواقع والمثال، التي تتشكل منها الآداب والفنون والأحلام على مدى العصور.

وألفريد فرج، كما هو معروف، يكتب القصة القصيرة والرواية، بالمقدرة التي يكتب بها المسرح أو أقل قليلاً. وكان قد بدأ حياته الأدبية في الإسكندرية في منتصف الأربعينيات بكتابة الشعر العمودي والحر. ويؤلف ما كتبه وألقاه في المنتديات الأدبية والجامعة في تلك الأيام أكثر من ديوان مخطوط، إلا أنه لم يلبث أن تحول، بعد سنوات، عن الشعر إلى القصة

القصيرة والرواية والمسرحية، محتفظاً في ركن دافئ من نفسه بروح الشاعر الحالم، التي لا يخلو منها إبداع أصيل، وخاصة الإبداع المسرحي.

ومعظم إنتاج الفريد فرج، في هذه المرحلة المبكرة من حياته الأدبية، لم ينشر، لأنه يبدو فجاً بالقياس لما وصل إليه من نضج ووعي. وقد ضاعت بعض هذه المخطوطات في أوائل الخمسينيات، على الطريق ما بين الإسكندرية والقاهرة، وضاع جزء آخر في سنوات الاعتقال والتشتت والغربة والمرض، وليس من السهل الآن العثور عليها.

ولكن ما بقى من هذه المخطوطات يستحق أن ينشر ويجمع في كتب.

ولا تقتصر أعمال الفريد فرج على هذه الفنون الأدبية، فله عدد من الكتب في الدراسات الأدبية والنقدية، يستأثر المسرح بمعظم صفحاتها. ولهذه الكتب أهميتها في فهم وتذوق إبداعه الفني، في دقته وصفائه وتعدّد مستوياته ودلالاته. كما أنها تتضمن الأسس النظرية والأبعاد الفلسفية التي يصدر عنها إنتاجه الأدبي الذي يطرح فيه قضايا الناس وهمومهم وتطلعاتهم، وإن ارتدت رداء التاريخ، أو استلهمت التراث الأدبي، أو اقتبست من الفنون الشعبية كخيال الظل والأراجوز والسيرة والحياة العامة، في أبنية معمارية حديثة، تتضافر فيها الأشكال والعناصر الفنية المتعددة، وتتراءى فيها الرؤى العصرية التي تنبض بالحس القومي والمزاج الشعبي والمعاني الإنسانية.

وهذه الحوار مع الفريد فرج محاولة للاقتراب من شخصيته المنعكسة في أدبه ، واستطلاع بعض أفكاره وثقافته، أجريته معه في القاهرة، حيث يقيم فيها نصف السنة، ويقضي النصف الثاني في لندن.

📖 لاشك أن معرفة الأنساب الفكرية للكتاب تساعد على فهم أدبهم وإدراك جمالياته، فأين تضرب أنسابك في الحياة والثقافة، ومن هو الجمهور الذي تخاطبه؟

❑ أنا أولاً ابن هذا الزمان، وإن كنت أعرف للمكان خصوصيته فإن هذا لا يحجب عني الحقيقة وهي أن الدنيا قرية صغيرة. فأنا لي شخصيتي الفنية المتميزة في أدب عربي له شخصيته المتميزة، في نسق شامل للأدب العالمي الذي يتميز فيه الإنتاج في هذا الزمن المعاصر بخصوصيات عصرية.

لذلك فقد أنتسب للمتنبي ولشكسبير بالقدر نفسه، كما أنتسب إلى بيراندللو وبريخت وبديع خيري وبيرم التونسي في آن واحد. وأعرف أن الجاحظ من أقاربي كما أعرف أن مارك توين وفولتير من أقاربي أيضاً.

وأعتبر أن جيلي، أي إخوتي الذين عاصروني وعاصرتهم، والذين كانوا معي في مرحلة التكوين، وفي الفصل الدراسي، هم آرثر ميللر، وجون أوثبورن، والبير كامو، وجان آنوي، وبيتر فايس، وعبدالرحمن الشرقاوي، وصلاح عبدالصبور، ونعمان عاشور، ويوسف إدريس.

والجمهور الذي أخاطبه من هذا الموقع هو الطبقة المتوسط المتعلمة، وأولئك الذين يؤمنون بضرورة التطور والتحديث الاجتماعي، وبأن الدنيا أوسع من المسكن الواحد للإنسان الواحد.

📖 تحدثت أكثر من مرة عن يقظة وعيك السياسي في لهيب المظاهرات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وفي الصراع الأيديولوجي المحتدم حينذاك، ولكنك لم تتحدث عن انبثاقات وعيك الفني، وتقدّمك نحو النضوج خلال رحلة الكتابة.

□ ربما كان من شأن الوعي الفني، خلافاً للوعي السياسي، التسلل إلى النفس، ببطء وهدوء، دون أن ينتبه الإنسان إلى بداياته الخافية.

ويبدأ هذا الوعي عادة بنمو التذوق الفني. وعادة ما يكون هذا النمو من خلال حب قراءة القصص والشعر والمسرح، وحب مشاهدة المسرح والسينما، وحب الاستماع للموسيقى.

وقد تطور عندي هذا الحب حين تعرفت إلى الفنان سيف وانلي، فقد استطاع أن يثير اهتمامي بالألوان والظلال والمساحات والحجوم والكتل والفن التشكيلي بوجه عام.

📖 هل يمكن أن نتعرف على بعض هذه البدايات؟

□ أول رسوم شاهدتها من أعمال الفنانين الفرنسيين الكبار العمالقة كانت في كتب في أستوديو سيف وانلي. ثم قادني حب نجيب الريحاني ويوسف وهبي وحب توفيق الحكيم وبرنارد شو إلى المسرح الغنائي وحب الأوبرا.

وهكذا اكتشف فجأة أني من جمهور الفن أطلبه أينما كان، وأحب أن أعايشه وأستمتع به .. بما في ذلك ما كنت غير مهتم به ثم توجه اهتمامي إليه، كغناء محمد عبدالوهاب وأم كلثوم وجلسات استماع الموسيقى الكلاسيكية المنتظمة في المكتبة الأمريكية بالإسكندرية، وفي رابطة مصر/ أوروبا، وهي أحد النوادي السكندرية في الأربعينيات.

ومن الغريب أن الذين أنشأوا هذه الرابطة هم خريجو الجامعات البلجيكية من المبعوثين المصريين.

📖 هذا عن التلقي والتأثر. ماذا عن العطاء والإنتاج الأدبي والفني؟

❑ في ذلك الوقت أيضاً من الأربعينيات كنت أحب ممارسة الفن. وقد بدأ هذا الحب بالتمثيل في المدرسة الابتدائية والثانوية. وكانت المدرسة أيامها تعني عناية كبيرة جداً بالهوايات.

وأذكر أني أيضاً حاولت تعلم العزف على بعض الآلات الموسيقية، ولكني لم أنجح فيها.

وفي نهاية المرحلة الثانوية حاولت أن أكون شاعراً. فاستغرقت في قراءة العروض، يساعدني في ذلك الشاعر السكندري الصديق عبداللطيف النشار الذي فتح لي أفقاً واسعاً في النظر المقارن بين الشعر العربي والشعر الإنجليزي. وكان النشار شاعراً تقليدياً، ولكنه كان يقول لي في آخر الليل ونحن في المقهى: ولماذا لا نكتب مثلهم على بحر الإيامبك؟ ولماذا لا نكتب مثلهم شكل السونيت؟ ولماذا لا نكتب مثلهم قصيدة «البالاد»؟

ومع أنه لم يكتب هذه الأشكال أبداً، فقد دفعني ربنا بإغراء السؤال إلى كتابة الشعر الحديث في وقت مبكر جداً بالنسبة لرواد هذا اللون. فكتبت وأنشدت في كلية الآداب في مهرجانات الربيع التي كانت تعقد فيها مباريات الشعر في أعوام 47، 48، 49، إلى جانب كمال نشأت ومصطفى بدوي ومحسن الجوهري وسعيد ميخائيل وسعد زغلول نصار.

ثم أهملت الشعر لأنه لم تكن في مصر منابر لنشر الشعر، وكانت كلها في بيروت. وحاولت أن أكون ناقداً أدبياً في الصحافة، ولكن المسرح اجتذبني.

ومع أن المسرح كان في حالة فشل ذريع، فقد كنت في ذلك الوقت من رواده المدمنين. وكان هذا يغريني دائماً بالكتابة عن المسرح في مواجهة

مقاومة صارمة وحازمة من السيدة روز اليوسف، صاحبة المجلة التي كنت أكتب فيها. وكان يساعدني في التسلل من وراء ظهر السيدة روز اليوسف، ويشجعني على الكتابة عن المسرح، المرحوم إحسان عبد القدوس.

📖 **هل كان اهتمامك بالكتابة عن المسرح في مجلة «روز اليوسف» حافزاً أو مقدمة للتأليف المسرحي؟**

❑ انغمست وقتئذ في الصراع الدائر بين الجيل القديم والجيل الجديد في مسرح الدولة. وفجأة اكتشفت أني سهرتُ الليل حتى الصباح في كتابة مسرحيتي «سقوط فرعون» أياماً وليالي وشهوراً، لتكون نموذجاً - في وهمي - للمسرح الحديث كما ينبغي أن يكون.

ومن حسن حظي أن ناصرني وناصر مسرحيتي قادة الجيل الجديد في المسرح المصري: حمدي غيث ومحمد الطوخي وسميحة أيوب، وتضافروا على تجسيدها في أبهى صورة.

ولولا سوء حظنا مع النقاد في هذه اللحظات الغريبة والحاسمة من تاريخ الفن، لكانت هذه المسرحية قد اتخذت عنوان المنعطِف في المسرح المصري.

لقد تعرضت «سقوط فرعون»، كما تعرضت مسرحية «هرناني» لفيكتور هوجو، لهجوم كاسح. ولعل هذا الهجوم هو الذي رفع درجة الإصرار عندي على أن أقدم مسرحاً جديداً في كل شيء.

📖 **أود أن أختم هذا الحوار عن مسرحك بسؤال عن الإضافة الفنية التي ترى أن مسرحك يقدمها، ويرشحه للبقاء.**

❑ أعتقد أن الشكل الفني في مسرحي هو الذي يرشحه للازدهار في حقب مقبلة. وقد استخدمت في هذا السبيل جماليات شكلية ذات طابع خاص.

فمثلاً في «حلاق بغداد» ستجد متعة الأرابيسك. وستجد أن المسرحية تشبه نجمتين يصلهما خط كما في الزخرفة العربية.. في حين أن «الزير سالم» هي حكايات متداخلة أشبه بأسلوب «ألف ليلة وليلة». وقد حرصت على هذا الشكل الشرقي ضمن ما كنت أسعى إليه دائماً من الحرص على إنشاء مسرح عربي في الشكل وفي المضمون.

وأروع ما في الجمال الفني العربي هو الزخرفة والموسيقى. وإذا تأملت ما أنشأته وكتبته من مسرحات مستلهمة من التراث، أو من مسرحيات عصرية، فستجدني أحاول إعادة بناء الزخرفة والموسيقى العربية بأسلوب الفنان الشرقي.



الفريد فرج (1929-2005)





الفريد فرج في مكتبه الخاص



الفريد فرج ونبيل فرج

رسائل و أحاديث ألفريد فرج

هذه مجموعة من رسائل وأحاديث ألفريد فرج (1929 - 2005)، أعدها للنشر في هذا الكتاب شقيقه نبيل فرج الذي تلقى هذه الرسائل، وأجرى هذه الأحاديث، التي نتعرف من خلالها على كثير من مفاهيم وأفكار ألفريد فرج عن الأدب والفن والحياة.

كما نتعرف من هذه الرسائل والأحاديث على تجربته المسرحية التي عرضت في كل الأقطار العربية، ولا تزال قابلة للعرض على مسارحها: فضلاً عما نالته في هذه الأقطار من حب الجمهور وتقدير النقاد باعتبارها من الأعمال الإبداعية الرفيعة [illegible] المسرح العربي، التي تعبر بمضمونها الإنساني وتنوعه [illegible] الحديث عن الثقافة العربية، والهوية الوطنية، والشخصية القومية.

تصميم الغلاف: أحمد اللباد



